# سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (27) | 25 / 3 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

عمل للفنان ضيا حبوب ريحمل أسماء شهداء الثورة السورية

# الجيش السوري يقتحم مدينة سراقب في محافظة إدلب بالدبابات

اقتحمت القوات السورية السبت مدينة سراقب المحاصرة منذ أشهر في محافظة إدلب بالدبابات، بحسب ما أفاد ناشطون والمرصد السوري لحقوق الإنسان.

وقال عضو المكتب الإعلامي لمجلس قيادة الثورة في إدلب نور الدين العبدو إن "26 دبابة دخلت مدينة سراقب من الطرف الغربي وتمركزت فيها بشكل قسم المدينة إلى قسمين".

وأضاف أن الجيش بدأ حملة تمشيط واعتقالات"، مشيرا إلى "سماع أصوات إنفجارات في المدينة، بينما لا يجرؤ احد على الخروج من منزله.

وأوضح العبدو أن المدينة مطوقة منذ العاشر من شهر حزيران ، وان قوات النظام "اقتحمتها من قبل مرات عدة ثم انسحبت منها بعد حملات تمشيط واعتقالات".

وقال ردا على سؤال إن الجيش السوري الحر "متواجد بكثافة في المدينة، إلا انه ينكفئ لدى اقتحامها ولا يهاجم القوات النظامية تجنبا لإيذاء المدنيين والتسبب بالدمار"، مشيرا إلى انه ينفذ هجمات على القوات بعد انسحابها.

وأكد المرصد السوري لحقوق الإنسان من جهته اقتحام "القوات العسكرية السورية لأحياء في مدينة سراقب ترافقها آليات عسكرية ثقيلة" وحملة المداهمات والاعتقالات.

وأفاد في بيان عن مقتل شخص "اثر إصابته بإطلاق رصاص" من هذه القوات.

ومن جهة ثانية، ذكر العبدو أن قوات النظام نفذت اليوم أيضا "حملة دهم وتفتيش وإحراق للمنازل ونهب" في بلدة احسم في جبل الزاوية في إدلب. وقال إن الجيش السوري "انسحب عصر الجمعة من مدينة سرمين، وترك حاجزا كبيرا عند المدخل الشرقي للمدينة".

وأضاف أن القوات السورية "خلفت وراءها دمارا هائلا" في المدينة الواقعة في المحافظة نفسها والتي كانت اقتحمتها الخميس.

ووزع المكتب الإعلامي لمجلس قيادة الثورة صورا وأشرطة فيديو التقطت الجمعة، وبمعظمها بعد انسحاب القوات السورية من المدينة، تظهر آثار دمار كبير في محلات تجارية وفي أبنية "نتيجة القصف العشوائي".

كما شوهدت نار تندلع من قاعة

ذكر صوت يعلق على الشريط بأنها مكتبة جامع الفردوس في سرمين، الذي تم التقاط صور له وقد لحقت به أضرار بالغة "نتيجة التخريب".

وظهرت في أشرطة أخرى جثث قتلى لم تعرف ظروف مقتلهم، وأفاد المكتب الإعلامي أنهم قضوا في "مجزرة ارتكبتها قوات بشار" الأسد.

وكان الجيش السوري بدا أيضا مساء الخميس قصف مدينة بنش، احد معاقل حركة الاحتجاج شرق مدينة إدلب قرب الحدود التركية. وأثار القصف الذعر في صفوف السكان الذين فر الآلاف منهم.

## لجنة تحقيق للأمم المتحدة تشير إلى تخدير شهود سوريين خلال زيارة المراقبين

أفاد أعضاء في لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة الجمعة أن أطباء سوريين تلقوا تعليمات بإعطاء المرضى مخدرات لمنعهم من الشهادة خلال زيارة بعثة المراقبة التابعة للجامعة العربية إلى مستشفيات سورية.

وقالت ياكين ارتورك عضوة لجنة مجلس الأمم المتحدة لحقوق الإنسان إن "عددا من الشهود أكدوا أن الأطباء تلقوا تعليمات بجعل المرضى غائبين عن الوعي خلال زيارات (مراقبي) الجامعة العربية" لمستشفيات في حلب (شمال سوريا).

وهؤلاء المراقبون الذين علقت مهمتهم في كانون الثاني الماضي كان يرافقهم في زياراتهم ممثلون للحكومة السورية.

وأضافت ارتورك أن "بعض الأطباء تعرضوا هم أنفسهم لسوء معاملة وتعذيب بسبب رفضهم الخضوع للأوامر التي امتثل لها البعض". لكنها أوضحت أنها "معلومات أولية" ستقوم اللجنة ببحثها بتمعن.

وهذه الاتهامات جاءت في نحو 70 شهادة جديدة جمعتها اللجنة وخاصة من اللاجئين منذ نشر تقريرها الشهر الماضي. ولم يسمح لهذه اللجنة بتقصي الحقائق ميدانيا في دمشق.

كما أشارت ارتورك إلى زيادة عدد العسكريين السوريين الكبار الذين انشقوا عن الجيش في الأسابيع الأخيرة ومن بينهم أربعة عمداء "في حين أن معظم الانشقاقات السابقة كانت لمجندين مع عدد قليل من الرتب العليا في الجيش والشرطة".

والاتجاه الجديد الآخر كما يقول رئيس اللجنة باولو بينيرو هو "انخفاض عدد ضحايا القمع الوحشي للتظاهرات وزيادة عدد القتلى والجرحى خلال العمليات العسكرية" ضد البلدات. موضحا أن هذه العمليات تجرى "لملاحقة المجموعات المسلحة (المعارضة) أو توقيع عقاب جماعي على سكان بعض البلدات كلهم".

وقد مدد مجلس الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الجمعة مهمة لجنة التحقيق وطلب منها أن تقدم تقريرا شفهيا للوضع في سوريا في حزيران المقبل وتقريرا مكتوبا في أيلول.

وأدى قمع حركة الاحتجاج في سوريا إلى سقوط أكثر من 9100 قتيل وفقا للمرصد السوري لحقوق الإنسان.

## عقوبات أوروبية ضد والدة الأسد وزوجته وشقيقته

قررت دول الاتحاد الأوروبي منع زوجة الرئيس السوري بشار الأسد ووالدته وشقيقته من السفر إلى أوروبا وذلك في إطار الضغط عليه لإنهاء الحملة التي تشنها حكومته على الانتفاضة الشعبية.

وقال مسؤولون في الاتحاد الأوروبي إن وزراء الخارجية المجتمعين في بروكسيل جمدوا أيضاً أصول 8 سوريين آخرين وفرضوا عليهم حظراً للسفر إلى أوروبا كما حظروا على الشركات الأوروبية الدخول في مشروعات أعمال مع شركتي نفط سوريتين مرتبطتين بالنظام. وتأتي القرارات التي تدخل حيز التنفيذ اليوم بعد 12 جولة عقوبات سابقة تهدف إلى عزل الأسد وشملت حظراً للأسلحة وحظر استيراد الاتحاد الأوروبي للنفط السوري. وقال وزير الخارجية الهولندي أوري روسنتال على هامش اجتماع وزراء الاتحاد الأوروبي في بروكسيل «بهذه القائمة الجديدة نضرب قلب عائلة الأسد ونبعث برسالة عالية وواضحة للسيد الأسد... يجب أن يتنحى». وأسماء الأسد زوجة الرئيس السوري ولدت في لندن وكانت تعمل في بنك استثماري وبدت في يوم من الأيام كامرأة تتبنى القيم الغربية.

لكن منذ بدء الانتفاضة على حكم زوجها أصبحت أسماء شخصية مرفوضة من جانب كثيرين من السوريين بعد أن وقفت إلى جانبه خلال الانتفاضة التي اندلعت قبل عام. وقال وزير الخارجية البريطاني ويليام هيغ «من المهم تشديد الطوق ديبلوماسياً واقتصادياً» على النظام السوري.

وأكد أن السلطات السورية ما زالت «تتصرف في شكل دموي لا يمكن قبوله على الإطلاق». وأوضح وزير الخارجية السويدي كارل بيلت أن هذه العقوبات بمثابة «إشارة قوية جداً لكل أعضاء النظام بضرورة وقف القتل والعنف فوراً». وأضاف «إنها الطريقة الوحيدة لمنع البلد من الانزلاق إلى حرب أهلية طائفية عواقبها ستكون مدمرة». لكن قرار منع أسماء الأسد من السفر إلى أوروبا قد لا يكون من السهل تطبيقه قانونياً نظراً لأنها تحمل أيضاً الجنسية البريطانية منذ مولدها في لندن عام 1975. وقال ناطق باسم الوكالة البريطانية لإدارة الحدود رداً على سؤال لفرانس برس إن «الرعايا البريطانيين الممنوعين من السفر إلى دول الاتحاد الأوروبي لا يمكن منعهم من الدخول إلى بريطانيا».

وأقر وزير الخارجية البريطاني بأنه «من البديهي أن الذين يملكون جواز سفر بريطانياً لهم الحق في الذهاب إلى المملكة المتحدة»، مضيفاً: «نظراً لتجميد أرصدة كل هؤلاء الأشخاص ومنع باقي أفراد أسرته من السفر إلى الاتحاد الأوروبي لا نتوقع أن تسعى أسماء الأسد إلى السفر حالياً إلى بريطانيا». وتستهدف العقوبات الأسد منذ أيار (مايو) العام الماضي لكنها لم تؤثر كثيراً على سياساته حتى الآن. ويسعى المجتمع الدولي إلى تبني توجه مشترك ربما يقود إلى عملية تحول سياسي في سورية بناء على خطة المبعوث الأممي العربي للحل كوفي أنان. ومن المقرر إعلان قائمة بأسماء الأشخاص الذين استهدفتهم أحدث عقوبات الاتحاد الأوروبي اليوم في الجريدة الرسمية للاتحاد الأوروبي. ونظام الأسد يخضع منذ أيار 2011 لعقوبات من الاتحاد الأوروبي كما فرض الاتحاد الأوروبي على نحو 150 شخصا ومنظمة بينهم أبرز أركان النظام، حظراً على دخول أراضي دوله وتجميد أرصدة. واتخذ الاتحاد الأوروبي في الإجمال 12 سلسلة عقوبات تستهدف أيضاً البنك المركزي وتجارة المعادن الثمينة ورحلات الشحن.

# الأمم المتحدة تتوقع نزوح 100 ألف من سورية

## وتطلق نداء لجمع 84 مليون دولار للاجئين السوريين

لاجئين سوريين بالانتظار على الحدود التركية

أطلقت الأمم المتحدة نداء لجمع مساعدات بقيمة 84 مليون دولار للاجئين السوريين في الأردن ولبنان وتركيا والعراق.

وأطلقت الخطة تحت اسم 'خطة الرد الإقليمي السورية' لتأمين حاجيات اللاجئين السوريين الذين فرّوا من بلادهم منذ آذار 2011، ولتقييم حاجيات اللاجئين المقبلين، وهي إطار تقوده مفوضيّة الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ونتاج تنسيق للجهود بين 7 وكالات تابعة للأمم المتحدة و27 منظمة وطنيّة ودوليّة غير حكومية، وبعض الحكومات لتقديم المساعدات للاجئين السوريين.

وقال الناطق باسم مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، أدريان إدواردز، للصحافيين في جنيف إن 'الخطة تعتمد على أساس أن المساعدة خلال الأشهر الستة المقبلة ستكون ضرورية لدعم قرابة 100 ألف شخص'، من اللاجئين من سورية.

وأشار إلى أن الخطة لن تشمل الحاجيات الإنسانية داخل سورية، 'ولهذا فإن نداء منفصلاً متوقعاً في المستقبل القريب سيقوده مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية'.

وللخطة ثلاثة أهداف، الأولى ضمان حصول السوريين ولاجئين آخرين على حماية الدول المجاورة وحماية دولية، أما الهدف الثاني فهو تأمين الحاجيات الأساسية لهم، مع إيلاء اهتمام خاص بمن هم أكثر تأثراً، والهدف الثالث هو ضمان اتخاذ الإجراءات الطارئة عند التدفق الكبير للاجئين.

ويزداد عدد اللاجئين السوريين في الأردن ولبنان وتركيا، بعد سنة من بدء الاضطرابات في سورية.

وقال إدواردز 'هناك حاجة واضحة لتعزيز الدعم الدولي'.

وقد سجّل أكثر من 6 آلاف لاجئ سوري في الأردن لدى مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين منذ آذار (مارس) الماضي، ولا يزال هناك 2500 آخرين بانتظار التسجيل. وتتوقع المفوضيّة بأن يزيد هذا العدد بشكل ملحوظ مع زيادة جهودها ومساعداتها للسوريين.

وفي لبنان يتواصل تسجيل اللاجئين، وتعمل مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين وشركاؤها مع الحكومة اللبنانية والسلطات المحلية لضمان تأمين حاجيات اللاجئين السوريين، وقد سجل أكثر من 16 ألف لاجئ بينهم 8 آلاف في الشمال وهم يتلقون المساعدات.

أما في تركيا، فقد سجّل قرابة 17 آلاف لاجئ سوري، ونصبت الحكومة التركية 8 مخيمات لهم.

وذكرت المفوضيّة أن عدداً متزايداً من اللاجئين السوريين وصل مؤخراً إلى العراق، ويجري تقييم العدد المحدد حاليا، وقد بدأت المفوضية وشركاؤها التعاون الوثيق مع السلطات هناك.

وأشارت المفوضية الأممية إلى أنها تواصل مساعدة قرابة 111 ألف لاجئ مسجّل لديها في مناطق مختلفة من سورية.

# النســـاء والثـــورة.. ثورة مضاعفة

■ خولة دنيا

عندما يبدأ الطاخ والطيخ.. تبتعد النساء إلى الخلف...

الخلف لا يعني اللا مكان، قد يعني المكان تماماً ولكنه المكان المخفي، المكان الأكثر أمناً، الأكثر حماية، والأكثر عملاً في أحيان كثيرة..

هي المرأة السورية الرائعة.

عندما نزلنا لأول مرة في المظاهرات كانت تجمعات النساء قليلة، نراهن متجمعات على ذواتهن، وفي أماكن كثيرة يتم التعامل معهن بحماية مطلقة، دائرة من الأيدي المتقاطعة والمتشابكة لشباب غيورين، وبين أيديهم تتجمع النساء، عشرات أو آحاد، يهتفن ويصرخن، ويعبرن عن رفضهن. من غير المسموح لهن الخروج من دائرة الأيدي المتشابكة إلا بعد مشاحنات...

دائماً الحجة في ذلك تتعلق بالحماية، ولكن الحماية مما؟

في البداية، كانت النساء يشاركن من بيوتهن، من الشرفات، من نواصي الشوارع، يتفرجن على الشباب وهم يعبرون عن رفضهم، ولكن لا صوت للنساء. بعدها رويداً رويداً بدأت المظاهرات تتلون بالوجوه النسائية، حتى في أكثر المناطق تشدداً، ولكن دائماً كنّ خاضعات للحماية التشابكية الأيدي.

هي المرأة السورية من جديد، وكما قلت الخلف لا يعني اللامكان فقد يكون المكان عينه.

دائماً ما دفعت النساء أثماناً متراوحة للرفض، فهنّ من يتلقين الإهانات حتى بغيابهن، حيث ينصبّ عليهن السباب والشتائم إن بشكل مباشر وجهاً لوجه، أو بشكل غير مباشر عن طريق كيل الشتائم للشباب..

تتم إهانة الرجال من خلال إهانة نسائهم، وكأن المرأة يجب أن تدفع الثمن.. وكأننا نعود لعصور العبودية والسبي.. حيث كان يتم قتل الرجال وسبي النساء للمتعة والعمل.. وحيث كانت ملكية الرجل تزداد أبهة بعدد ما يملكه من النساء.

هي المرأة وكثيراً ما كانت جسد بدون روح.. هكذا بنظر المقموع، كما بنظر القامع... هي المرأة التي يتم شتمها وضربها واغتصابها كي يثبت القامع سطوته على المقموع، كما انتصاره عليه... وكأنه لا يكفي مئات السنين من التبعية والتغييب.

ولكن هل كانت المرأة مختلفة في ثورتنا؟

صراع المرأة منذ بداية الثورة كان واضح المعالم، فهي تريد التغيير، وتريد الكرامة وتريد الحرية. ولكن التعامل معها بقي كما هو، هي عنصر أضعف يجب أن يغيب عن الصورة العامة لصراع الرجال بين بعضهم البعض... مالم يكن إدخالها من باب كسر العظم وإثبات الغلبة لطرف على آخر..

في أحيان كثيرة تم النظر إليهن كلون مختلف للثورة يجب أن يظهر بين حين وآخر، كما الأطفال.. لكن كثيرات من النساء رفضن أن يكن في خلفية المشهد، فكانت لهن تظاهراتهن، ومشاركاتهن... يشهد عليهن نسبة الشهيدات الكبيرة، كما المظاهرات النسائية العديدة، كما أصواتهن الصادحة في الساحات... الثورة بالنسبة لهن، كانت ثورة لإثبات الذات، والفاعلية والمشاركة بكل الأشكال..

قدمن المساعدات كذلك وكنّ حجر أساس في السلمية التي يتقننها، على الأرض كما على النت...

لديهن شبكات التواصل الخاصة بهن، كما شبكات التواصل بمشاركة الآخرين.. لديهن جلسات نقاشهن، وفاعليتهن، وصوتهن الذي لا يمكن إنكاره...

لم يتلقين الرصاص كما الرجال، ولكنهن قدمن حصتهن من الدماء كما الرجال، كنّ أمهات ثكالى، وأرامل متحملات، وبنات صابرات لشهداء يتساقطون في كل لحظة..

ومن جهته النظام لم يوفرهن أبداً، وإن تعامل معهن كنساء بكل ما تعنيه الكلمة.. فتم اغتصابهن في بعض المناطق، كما تم اختطافهن والمساومة عليهن، وكذلك تهديد الرجال بهن..

تعامل معهن النظام، كمعارضة درجة ثانية فهل تعاملت معهن المعارضة بالمنطق ذاته؟

للأسف نعم، سنلاحظ هذا في نسب المشاركة في التجمعات التي أسستها المعارضة، كانت نسبة النساء المشاركات محددة سلفاً، وبشكل لا يقبل النقاش في أحيان كثيرة، هي نسبة مشاركة للمرأة كمرأة وليس كمعارضة لها رأيها ووزنها ومشاركتها..

هي المرأة تدفع الثمن مرات ومرات..

ولكن هل ستكون هذه الثورة فعلاً ثورة على التمييز ضد المرأة؟

هو ما ستثبته النساء، الآن في الثورة، وفي المستقبل خلال بناء الدولة..

ثمن كبير تدفعه نساءنا، وثمن أكبر سيدفعنه تالياً، هن مستعدات لذلك، ومضحيات من أجل ذلك، يستطعن أن يغطين كل الحجج التي يقدمها الرجال.. وفي مناطق غابت عنها وجوه النساء لعقود، تعود اليوم بوضوح للمشاركة، لا يهم إن كان وجهها مغطى، أو محجب أو سافر.. لا يهم فاللحظة تفرض نفسها عليها وعلى محيطها...

تقوم بأدوار تبتدعها، وتؤسس لثقافة من نوع مختلف، هي المرأة التي تهتم ببناء ذاتها وفهم ما يحصل، والتي تدخل إلى شجون البلد، وثقافة المختلف، التي تريد أن تفهم ما حصل خلال أربعين عاماً، كي تستطيع ولوج المستقبل من باب المعرفة..

تقوم بأدوارها المتعددة، ويجب أن لا تقبل بدور الدرجة الثانية أبداً.

واليوم، عندما بدأ يعلو صوت الرصاص، المرأة ستكون صوت العقل، كما ستكون كما المسيح تفتدي أبناءها بلحمها ورفضها وسلميتها...

وعندما تزداد صرخات الثأر، ستكون هي صوت الحكمة... هكذا كانت أبداً وهكذا ستكون اليوم..

هناك ما تغير، وماسوف لن يعود بنا للوراء، النساء جزء من هذا التغيير، كما الشباب الذين عرفوا اليوم طعم الحرية لا يمكن أن يعودوا لزمن الصمت والعبودية..

ثورتنا ثورة على التابوات بكل أشكالها، يكفي أن تزور دوما، وزملكا والمعضمية وقطنا، كما تزور القامشلي وحمص وبرود والزبداني... سترى الفرق في عيون النساء.

ما علينا المحافظة عليه هو مسار ثورتنا، لمزيد من النجاحات.

هو عبء جديد على النساء تحمله.

وحتى ننتصر وينتصروا... ما زال الكثير بحاجة لإعادة البناء..

# حزب الله في الميزان...

# بندقيةُ المقاومة.. آية الله.. الأسد أم بندقية بلا هوية..

■ ياسر مرزوق

سبق وأن استعرضنا وفي أعداد متفرقة الأحزاب والتيارات السياسية الفاعلة على الساحة السورية، ومن غير المستغرب عرضنا اليوم لحزب الله اللبناني، مع مرور عام على الثورة السورية برز دور حزب الله ليس كتيار أو حزب فاعل على الساحة السورية بل كطرفٍ مَن أطراف اللعبة، أو حتى أهمها فتصريحات أمينه العام ليست أقل من إعلان حرب يكرره على مسامع العالم وفي كل المناسبات، حتى أنه تجاوز النظام السوري بكثير، فمع بداية الثورة دأب الخطاب الرسمي السوري على التمييز بين مطالب مشروعة لمتظاهرين مدنيين و عصابات مسلحة افترض وجودها، أما الأمين العام ومنذ فجر الثورة ربط المتظاهرين بالمؤامرة الخارجية، ولم يرتضي للشعب السوري حتى شعارات الحرية والإصلاح وتكافؤ الفرص، قبل أن تغيب هذه المطالب تحت شعار "إسقاط النظام" متجاهلاً تاريخ الشيعة في لبنان وثورة الجياع وحركة المحرومين وتعاليم الإمام موسى الصدر، و الدكتور علي شريعتي عالمية التوجه والرؤى.

## حزب الله والثورة السورية

ويرى مراقبون أن حزب الله لن يتوانى عن القيام بأي خطوة ومهما كان ثمنها لمنع سقوط النظام في سوريا لإدراكه أن مصير الأسد يحدد أيضًا مصير حزب الله ومصير نفوذ إيران في المنطقة. وينطلق حزب الله من يقينية افترضها وآمن بها مفادها أنه ما من رئيس لسوريا سيكون سندًا لـ"حزب الله" وخط الممانعة كما هو الأسد، متجاهلاً أيضاً أن الشعب السوري قومي عروبي بفطرته وأن الدماء السورية التي بذلت على أرض فلسطين عمرها من عمر الثورة الفلسطينية وأنه حين قامت ثورة عز الدين القسام " ابن جبلة" لم يكن التاريخ قد سجل مولد البعث أو حزب الله.

إن حزب الله المؤيد والمهلل للربيع العربي، لم يرق له أن تشهد سوريا ربيعا، ولنا أن نتساءل عما إذا كان حزب الله سيسقط على خلفية تأييده للنظام في سوريا، في ظل جيل عربي جديد لا يقبل المعايير المزدوجة عقب الربيع العربي الذي أطاح بأنظمة الدكتاتورية. فحزب الله الذي تشكل كمجموعة مسلحة لمقاومة إسرائيل، وغدا مناهضاً لأي قمع في المنطقة سواء في "الدولة البوليسية" في مصر بعهد الرئيس المخلوع حسني مبارك أو حكومة علي عبد الله صالح الفاسدة باليمن". و حزب الله الذي احتفل آذار الماضي بالثورات العربية ورفع أعلاماً مصرية وتونسية وبحرينية ويمنية للتضامن مع شعوب تلك الدول. لم يظهر إلا العداء السافر للثورة في سوريا ورموزها. إن طيفاً واسعاً من السوريين بات يرى أن موقف حزب الله المؤيد لنظام الأسد يرقى إلى درجة الخيانة، حيث يقولون إنهم وفروا الحماية لأعضاء الحزب وعائلاتهم في حروبه مع إسرائيل. في حين يعيد الحزب الفارين عبر الحدود إلى سجون النظام.

إن موقف حزب الله براغماتياً كان أم عقائدياً سيكون له الأثر السلبي الأكبر على المحيط العربي والإسلامي، فمع تأزم الموقف في سورية وانسداد الحلول السريعة فيها ومع زيادة التوتر الإيراني - الغربي ومضاعفاته على المنطقة الخليجية نجد أنفسنا أمام نزاع أهلي مذهبي. فالتعارض بين الممانعة والربيع العربي، أخذ شكلاً مذهبياً فطهران" الشيعية" تقدم نفسها على أنها قائدة محور الممانعة الذي يضم حزب الله والنظام السوري وشيعة العراق، و تطابق بين شعارات الربيع العربي في الحرية والديمقراطية والتعددية وبين الانتماء إلى الهيمنة الأميركية ومخططاتها. خصوصا في ظل حماسة تركيا (السنية) لدعم الربيع العربي. الذي يرى أبناؤه (السنة في غالبيتهم) أن إيران وحلفاءها يقفون في مواجهة التطلعات الشعبية نحو التغيير ويمنعون اكتمال أهداف الربيع العربي.

على الحزب أن يعي هنا أن محيطه لبناني عربي بالدرجة الأولى، وأن يرهن الحزب نفسه لنظام أو دولة لهو الانتحار بعينه، وعن "شارل ديغول " ننقل: "إن من يريد أن يتكلم في السياسة عليه النظر قبلها إلى الخريطة".

## واقع الشيعة قبل الإمام الصدر

إن قوة البنية الطائفية السياسية في لبنان تغلبت في الأحوال العادية على قوة الدولة وذلك بصرف النظر عن النجاح النسبي الذي حققته الأحزاب العلمانية، وقد أتت الحرب الأهلية لتكرس استمرارية الهوية الطائفية وثباتها وقد بقي الشيعة بعيدين عن التنظيمات السياسية قبل الحرب في غالبيتهم، وبقي الشيعة وبحكم التهميش الاقتصادي والسياسي الذي مارسته النخب المارونية والدرزي والسنية للطائفة الشيعية يتعاطون بوصفهم شيعة لبنانيين لا مجرد لبنانيين وهو أمر طبيعي في أدبيات علم الاجتماع التي تعرف جيداً ظاهرة ثبات واستمرارية المشاعر البدائية.

ومع بروز التيار الناصري في العالم العربي، انخرط الشيعة في معظم الحركات القومية العربية من ناصرية وبعثية كون الطابع الاشتراكي لهذه التنظيمات والهوية العربية كانت تعبيراً عن طموح الشيعة في مواجهة الإقطاع السياسي وتيار الانعزال في لبنان. ولم يقتصر انخراط الشيعة على الأحزاب العلمانية المناهضة للدولة اللبنانية، بل إن الآلاف من الشباب الشيعي التحق بالمنظمات الفلسطينية المختلفة في جنوب لبنان وبيروت.

## الإمام موسى الصدر وحركة أمل

ظهر أول تنظيم شيعي في لبنان على يد السيد موسى الصدر، الإيراني الأصل والذي كان له الدور الأكبر في انفتاح الطائفة ومساعدتها على نيل حقوقها لاحقاً معتمداً على ثقافة واسعة وسعة أفق قل نظيرها، وصل لبنان عام 1963 ومنح الجنسية اللبنانية في عهد الرئيس شهاب، وبقول كريم بقرادوني بهذا الصدد أن الإمام حين وصل لبنان كان يتكلم العربية بصعوبة أما في عام 1975 فكان يتكلم العربية بطلاقة تنسجم مع استعداده الشخصي ومؤهلاته، بدء الإمام الصدر نشاطه بتوجه وحدوي عروبي اجتماعي لمحاربة الإقطاع السياسي في لبنان، وأصبح الصدر متحدثاً بلسان الطبقات المحرومة في المجتمع اللبناني كله. وقد توجّه الصدر مباشرة إلى جنوب لبنان حيث الكثافة الشيعية، وبدأ في العمل من المنطلق الاجتماعي دون بروز شكل ديني واضح؛ فقام بتأسيس المؤسسات الخدمية لمساعدة الفقراء والمحتاجين، وكذلك المدارس والعيادات الطبية، ثم بدأ يُظهر توجُّهه الشيعي شيئًا فشيئًا، فأنشأ المحاكم الجعفرية التي تحكم بين الشيعة بمذهبهم الاثني عشري، وكان الطابع الطائفي للبنان يسمح له بمساحة من العمل، خاصة مع الضعف الشديد للحكومة اللبنانية وجيشها..

ومن هنا توجه موسى الصدر إلى شارل الحلو الرئيس اللبناني في ذلك الوقت الذي رأى فيه حليفًا مناسبًا ضد الشارع السني، فقرَّبه وشجَّعه، ومن ثَمَّ وافق في عام 1967م على إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ليكون ممثلاً لشيعة لبنان، بل وافق شارل الحلو على إصدار قانون رقم 72/ 76 وهو يقضي بأنه لا يمانع أن تكون مرجعية المجلس الشيعي في فتاويها وأحكامها وقوانينها تعود إلى المراجع الشيعية الكبرى في العالم (إيران والعراق وغيرهما)، وليس بالضرورة إلى الأحكام في لبنان، وتم إنشاء هذا المجلس بالفعل سنة 1969م، وكان موسى الصدر أول رئيس له بالطبع، واعترفت الحكومة بهذا المجلس في سنة 1970م. وفي العام نفسه تعرَّض الفلسطينيون المهجَّرون في الأردن إلى مذبحة عُرفت في التاريخ باسم أيلول الأسود، ومن ثَمّ تم تهجير الفلسطينيين بقيادة فتح إلى لبنان، وقد استفاد موسى الصدر في هذه المرحلة من فتح، وأقام معها علاقات ودِّيَّة بُغية أن تقوم فتح بعد ذلك بتدريب الشيعة عسكريًّا؛ استعدادًا لتكوين مليشيات مسلحة تؤثر في مسيرة لبنان، وكانت فتح - في نفس الوقت - تبحث عن حليف إلى جوار الشيوعيين، فقامت بينهما علاقة مصالح.

وفي سنة 1974م أسس موسى الصدر حركة المحرومين، تنادي بحقوق أكبر للفقراء، وانضم في البداية عددٌ كبير من المسيحيين في الجنوب إلى هذه الحركة؛ ظنًّا منهم أنها حركة قومية تهدف إلى إخراج فقراء لبنان من أزمتهم، ، ثم ما لبث الصدر أن عقد اتفاقًا مع ياسر عرفات قائد حركة فتح لتدريب حركة المحرومين عسكريًّا، تحت سمع وبصر الحكومة اللبنانية الضعيفة وفي يوليو 1975م أعلن الصدر عن تكوين جناح عسكري لحركة المحرومين سمّاه "أفواج المقاومة اللبنانية"، والتي تعرف اختصارًا بحركة "أمل"، وما لبث موسى الصدر أن تنكر للفلسطينيين، وطالب بقوة برحيل الفلسطينيين من الجنوب الشيعي.

تدريجياً ساءت العلاقة بين الصدر وسوريا التي كانت تحت ضغط شديد من الدول المحيطة وأمريكا بعد زيارة السادات لإسرائيل في سنة 1977م، وأرادت سوريا أن يقف معها لبنان بقوة، وأرادت أيضًا من الصدر ألا يتخذ له حلفاء غيرها لكن الصدر كان قد شعر بقوته وضعف موقف سوريا، فأراد أن يزيد من علاقاته مع الدول العربية مخالفًا بذلك للتحذير السوري، ومن هنا زار الكويت، ثم أتبعها بالجزائر، ثم أخيرًا توجَّه إلى ليبيا في أغسطس 1978م، لتحدث المفاجأة الكبرى حيث أعلنت ليبيا أن الصدر قد غادر أراضيها في 25 من أغسطس 1978م، لكنه لم يظهر بعد ذلك في أي مكان في الدنيا!!

وقد أصبح اختفاء موسى الصدر لغزًا محيِّرًا تنافس السياسيون في حلّه، لكن لم يصل أحدهم إلى نتيجة مؤكدة، والمهم أن موسى الصدر ترك الساحة من خلفه مشتعلة، وترك حركة أمل المسلحة التي تحمل مشروعه، وترك منصبًا شاغرًا في المجلس الشيعي الأعلى، وقد خلفه في قيادة حركة أمل السيد نبيه بري والذي عقد أوطد التحالفات مع سوريا، يكاد تحالف بري - دمشق الأكثر استقرارا في المشهد المتقلب للحرب اللبنانية.

## الاجتياح الإسرائيلي وتشكل حزب الله

عام 1982 طرح السيد "حسين الموسوي" عضو مجلس قيادة حركة أمل، تساؤلات خطيرة حول الأهداف السياسية لحركة أمل، وقد اتهم حركة أمل بالتواطؤ مع إسرائيل وأمريكا ضدّ القضايا الوطنية، وأسس ما سمي "حركة أمل الإسلامية" بمساعدة الشيخ "علي أكبر محتشمي بور" أحد أبرز الراديكاليين الذين تبوأ مناصب مهمة في النظام الإيراني، حيث قام بتأسيس حزب الله يوم كان سفيراً لبلاده في دمشق عام 1982م، حينها كانت السلطات السورية تخوض حرباً طاحنة مع جماعة الإخوان المسلمين، وكانت تتوجس من ظهور أية حركة إسلامية جديدة، فحينها لم تكن توجد على الساحة اللبنانية أية حركة إسلامية، فجميع الحركات الفلسطينية واللبنانية كانت علمانية، وجميعها كان موالياً لسوريا تقريباً (ما عدا حركة فتح أبو عمار)، ولم يكن لسوريا أية تجربة في التعامل مع الحركة الإسلامية، حيث لم تكن ظهرت بعد حركة الجهاد أو حماس أو غيرها من الحركات الإسلامية التي أصبحت من حلفاء سوريا. لذا فإن وجود حركة دينية متطرفة في الساحة اللبنانية كان أمراً جديداً ويثير التخوف لدى النظام السوري، خصوصاً وأن هذه الحركة قد جاءت ولادتها على يد نظام غير عربي ولديه نزعة دينية راديكالية ومخطط توسعي، فهذا النظام وإن كان قد أعلن تحالفه مع سوريا إلا أنه كان في بدايات حكمه ولم تكن الأمور قد استقرت في إيران بعد، حيث صراع الأجنحة كان على أشده آنذاك، ولهذا حاولت سوريا في بداية الأمر منع تكوين تنظيم موالي لإيران في لبنان.

وعقب الإعلان رسمياً عن قيام حزب الله جرت احتكاكات بين القوات السورية العاملة في لبنان والحزب، ردت عليها القوات السورية بفتح النار على عناصر من حزب الله كانوا يصلون في مسجد الإمام الرضا في بئر العبد في الضاحية الجنوبية في بيروت، وقتلت أكثر من عشرين منهم. إلا أن اشتداد وطأة السياسة الإسرائيلية في جنوب لبنان يمكن اعتباره الحافز المولد لنشوء الحزب، فتوحدت حركة أمل الإسلامية، وحزب الدعوة الإسلامية واللجان الإسلامية تحت اسم " حزب الله" وللحلف مع سوريا لاحقاً.

أما بالنسبة لهيكلة الحزب وقياداته فقد استمر الحزب في كتمان هوية أعضائه القياديين لغاية عام 1989، حيث عقد الحزب أول مؤتمراته التنظيمية العامة، وكان أول أمين عام رسمي للحزب الشيخ "صبحي الطفيلي" حتى عام 1991 يوم إنتخاب السيد "عباس الموسوي" أميناً عاماً والذي اغتالته إسرائيل عام 1992 وبعد يومين من اغتيال الموسوي تم انتخاب السيد" حسن نصر الله" والذي مازال أميناً عاماً للحزب حتى يومنا هذا، وهو من مواليد 21 أغسطس 1960 عين مسؤولاً عن حركة أمل في بلدة البازورية في قضاء صور، وسافر إلى النجف في العراق عام 1976م لتحصيل العلم الديني الإمامي، وعين مسؤولاً سياسياً في حركة أمل عن إقليم البقاع وعضواً في المكتب السياسي عام 1982م، ثم ما لبث أن انفصل عن الحركة وانضم إلى حزب الله، وعين مسؤولاً عن بيروت عام 1985، ثم عضواً في القيادة المركزية وفي الهيئة التنفيذية للحزب عام 1987، في هذه الأثناء حدد حزب الله موقفه في حلف تاريخي مع سوريا كمعبر لحلفه الرئيسي مع إيران. ومع نهاية الحرب اللبنانية في اتفاق الطائف الذي أتى تحت شعار "لا غالب ولا مغلوب" بدا واضحاً أن حزب الله والشيعة في لبنان وعلى خلاف الشعار هم الفئة الغالبة والتي أخذت تمثيلاً قريباً من تمثيلها العددي وأخذت تعمق مكتسباتها ولو بقوة السلاح. والتزمت التزاماً عضوياً مع القرار السياسي في سوريا سواء في الداخل اللبناني أو في الصراع مع إسرائيل.

**إن حزب الله المؤيد والمهلل للربيع العربي، لم يرق له أن تشهد سوريا ربيعاً**

وقد تكرّس التزام حزب الله بضوابط الصراع مع إسرائيل في تفاهمي يوليو تموز 1993م، ابريل نيسان 1996م حيث تعهد الحزب بعدم ضرب أهداف إسرائيلية داخل فلسطين المحتلة بداية، وهو أمر كان الحزب يؤكد التزامه به معتبراً أن إطلاق صواريخ (الكاتيوشا) على المستعمرات الإسرائيلية في الجليل ليس سوى رد فعل على الاعتداءات الإسرائيلية على المدنيين. وقد أشار حسن نصر الله في الخطاب الذي ألقاه في (بنت جبيل) عقب الانسحاب الإسرائيلي عام 2000 م والذي حضره 100 ألف جنوبي، إلى أن الحزب لن يشارك في أي عمل عسكري ضدّ إسرائيل لهدف تحرير القدس(جريدة الأنباء، عدد 8630، 2000/5/27 م، نقلاً عن: حزب الله رؤية مغايرة 214)

ولذلك يقول الأمين العام لمجلس الأمن القومي حسن روحاني: إنه في حال انسحاب إسرائيل من مزارع شبعا في جنوب لبنان، لن يكون هناك مبرّر لمواصلة "حزب الله" عمليات المقاومة. وعلل ذلك بقوله: "لأن حزب الله مقاومة تقتصر على الأراضي اللبنانية"(تصريحات أدلى بها حسن روحاني في مقابلة له في جريدة الحياة اللندنية، بتاريخ 2004/1/18).

وهذا يؤكد على الاتفاقيات السرية التي وقعت بين حزب الله اللبناني وإسرائيل كما اعترف بذلك الأمين العام السابق لحزب الله صبحي الطفيلي(صبحي الطفيلي كان الأمين العام السابق لحزب الله، وانفصل عنهم بعدما رأى أن الحزب انصرف من أهدافه المعلنة في المقاومة إلى خدمة المصالح السورية والإيرانية، بل وأصبح حامياً وحارساً لحدود إسرائيل الشمالية ويمنع أي مجاهد أو فدائي يريد الذهاب لإسرائيل عبر تلك الحدود) فقال: "إن حزب الله هو حرس حدود لإسرائيل" (انظر: صحيفة الشرق الأوسط في تاريخ 2003/9/25 م العدد (9067).

هذا ويمكن القول أن السيد حسن نصر الله لعب دوراً استثنائياً في تعميق تحالف حزبه مع سورية في عهد الرئيس بشار الأسد، مستفيداً من علاقة شخصية عميقة تربطهما، ومن قدرته على إقامة تآلف شبه دائم بين مقتضيات الوفاء للمنابع الإيرانية مستلزمات مراعاة المصالح العميقة للمعبر السوري. وهو ما جعل العلاقة عميقة وحيوية ومصيرية تتقدم لدى الطرفين على كل ما عداها. وقد أكد الأمين العام لـ «حزب الله» على هذا التحالف عملياً وفي مناسبات عديدة، فحين التهبت مشاعر قسم كبير من اللبنانيين بعد اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري، نظم نصر الله في 8 آذار (مارس) 2005 حشداً غير مسبوق أطلق فيه عبارة «شكراً سورية»، مجازفاً برصيد المقاومة داخل الطائفة السنّية في لبنان. وكان ذلك الموقف بين أبرز أسباب ولادة حركة 14 آذار.

هذا ولا يحتاج عمق العلاقة إلى تأكيد. فمعظم الصواريخ التي أطلقها «حزب الله» في حرب 2006 مصنوع في سورية. ولعب خط الصواريخ المفتوح دوراً أساسياً في تلك الحرب. في المقابل منع «حزب الله» قيام حكومة مستقرة لـ 14 آذار في لبنان، ليس فقط بسبب المحكمة الدولية المعنية بالتحقيق في اغتيال الحريري، بل أيضاً لمنع إخراج لبنان من موقعه كحلقة في محور الممانعة الممتد من بيروت إلى دمشق وصولاً إلى طهران. وكان غرض عملية 7 أيار (مايو) التي نفذها «حزب الله» في شوارع بيروت وبعض الجبل، قلب الأكثرية النيابية وإعادة ربط لبنان بمحور الممانعة.

## حزب الله والعلاقة مع إيران

حزب الله والذي كان شعاره ولغاية عام 1992م (حزب الله الثورة الإسلامية في لبنان) هو جناح الثورة الإيرانية وأحد مواقعها المتقدمة، وقد تردد مثل هذا الكلام ولأكثر من مرة على لسان، وقال الناطق باسم حزب الله - ذاك الوقت - إبراهيم الأمين: (نحن لا نقول: إننا جزء من إيران ؟ نحن إيران في لبنان، ولبنان في إيران).

ويقول حسن نصر الله: (إننا نرى في إيران الدولة التي تحكم بالإسلام، والدولة التي تناصر المسلمين والعرب ! وعلاقتنا بالنظام علاقة تعاون، ولنا صداقات مع أركانه ونتواصل معه، كما أن المرجعية الدينية هناك تشكل الغطاء الديني والشرعي لكفاحنا ونضالنا). قد عين مرشد الثورة الإيرانية على خامنئي الشيخ محمد ي*** عضوا ثوريا لحزب الله والمدرس بحوزة الإمام المنتظر ببعلبك، وحسن نصر الله أمين عام الحزب " وكيلين شرعيين " عنه في لبنان في الأمور الحسبية والوجوه الشرعية، فيستلمان عنه الحقوق ويصرفانها في مصالح المسلمين ويجريان المصالحات الشرعية، ويعينان الوكلاء من قبلهما.

وحزب الله نفسه يقرّر في كتبه «أن الولي الفقيه هو الذي يملك قرار الحرب أو السلم»(كتاب: حزب الله، لنعيم قاسم - نائب الأمين العام لحزب الله -، ص 72).

في النهاية يبدو واضحاً أن "حزب الله" يواجه اليوم خيارات صعبة يمكن أن يوجهها القوي المسلح المتماسك عندما تتغير البيئة المواتية التي كان يسبح فيها لبنانياً وسورياً وإقليمياً. ومن الطبيعي أن يكون الحزب قلقاً ومتوتراً في هذه الأيام. سورية غارقة في نزاع مدمر، ومَنْ حَماها حتى الآن هو روسيا لا إيران. وللمظلة الروسية أثمان وأخطار في موازاة الفوائد والعائدات. ثم أن التوتر السنّي – الشيعي في المنطقة ينذر بتحويل النزاع في سورية حلقة من حرب أهلية إقليمية. إن المشهد السوري يدعو إلى الاعتقاد بأن سورية نفسها قد تنكسر قبل انكسار أحد طرفي النزاع. السؤال الأول المطروح على "حزب الله" هو عن كيفية التعايش مع نزاع طويل وخطر في سورية من دون أن تشتعل خطوط التماس السنية – الشيعية في لبنان. السؤال الثاني هو: ماذا يفعل "حزب الله" إذا التهب الملف الإيراني وسورية غارقة في القتل الجوّال داخلياً، وفي العزلة الصارمة إقليمياً ودولياً؟ السؤال الثالث هو: ماذا يفعل "حزب الله" إذا استيقظ على تغيير في سورية وفقد العمق الذي كان يوفر له الدعم السياسي مقرونا بالصواريخ؟

إن على قيادة حزب الله أن تعي بأن التاريخ لن يرجع للوراء ولن يتمكن أحد من، إقناع السوريين بإيثار السلامة، وبأن التسكع على الأرصفة في التاريخ أكثر أماناً من التزاحم وسط مجراه الخطر، فلم يعد بيننا من يجد في ذلك مجلبة لراحة القلب وهدوء الأعصاب. والحبل السري الذي وفرته دمشق تاريخياً ليستمر الحزب على قيد الحياة قد تقطعه الجموع الهادرة في دمشق عينها.

# بقـــايـــا وطـــن

■ خالد كنفاني

طوال الفترة الأخيرة من عمر الثورة السورية، كان الشغل الشاغل لبعض بقايا المثقفين والمفكرين في سوريا هو السؤال المحير التالي: ما هو العدد المطلوب قتله في سوريا حتى تتحول إشارة التدخل من حمراء إلى خضراء؟

ولعل مردّ ذلك السؤال هو أن كل ما يحدث في سوريا مكشوف للعالم لحظة بلحظة عبر عشرات الآلاف من الهواتف النقالة والحواسب المحمولة والصحفيين المتسللين والمراسلين الجدد، وبالتالي فلا يمكن الادعاء بأي حال من الأحوال بأن الأمور غير واضحة أو غير مفهومة.

ورغم ما يسوقه البعض من مخاوف بشأن الحرب الأهلية أو تدخلات "القاعدة" أو غيرها من التنظيمات "المرعبة"، فإنه لا يخفى أن عدداً من هذه المخاوف قد وقع فعلاً، ولم نكن بانتظار تقرير منظمة Human Rights Watch الأخير لنعرف أن ما يحدث لجنود الجيش النظامي في قبضة الجيش الحر أو غيره من المقاتلين لن يكون بالتأكيد إنسانياً وخاصة وأن الجرائم التي يرتكبها النظام فاقت كل التصورات مما جعل من رد فعل الناس عنيفاً تجاه مقتل ذويهم وأحبابهم وعائلاتهم، ونحن هنا لا نبرر فعلة أحد سواء من النظام أو من الثوار، فإذا كان العدو خسيساً فلا يعني ذلك أن نتخلى عن أخلاقنا ومبادئنا التي ناضل ولا يزال يناضل السوريون لأجلها لأكثر من ثلاثة عشر شهراً متواصلة، وهي قيم الحرية ولكن العدالة أيضاً. ولا ندري إذا كان الجنود الذين وقعوا في قبضة عناصر الجيش الحر هم من المشاركين في القتل أم أنهم بعض تلك النسبة المترددة والخائفة والتي شاءت أقدارها السيئة أن تؤدي الخدمة العسكرية في زمن الثورة.

إن الحرب الأهلية أو الطائفية لها جذور ضاربة في المخيال الاجتماعي السوري، ولا نريد أن نضفي ثوباً من الطوباوية أو المثالية على مجتمع تتنازعه التيارات العشائرية والطائفية والمذهبية والطبقية (الريف والمدينة نموذجاً)، والأحرى أن نتعمق في دراسة الظواهر الاجتماعية وتاريخيتها لفهم الحاضر والتخطيط للمستقبل بدلاً من تلك العبارات الطنانة والحالمة التي يتحدث بها المعارضون في الخارج أمام ديبلوماسيين غربيين يعلمون عن مجتمعاتنا وتركيبتها أكثر مما يعلم بعض من يظنون أنهم "دهاة" المعارضة. وكان جواب وزيرة الخارجية الأمريكية لأعضاء المجلس الوطني واضحاً حول التقارير التي بحوزتها زالتي تتعارض تماماً مع ما يقوله المعارضون عن تركيبة المجتمع السوري، وهو ما يكشف قصوراً تاريخياً ومعرفياً يضاف للقصور السياسي الذي تعاني منه المعارضة بشكل عام والمجلس الوطني ومعارضة الخارج بشكل خاص.

ينفجر كل شيء في سوريا اليوم. المعارضون والمؤيدون والصامتون والمقاتلون والمتظاهرون والخائفون. تنفجر اليوم كل القيم والأخلاق وبدأ الناس بالانقسام إلى إما انتهازيين أو مترقبين وكلا الحالين تشد الوطن للخلف كما لم يفعل من قبل. وهناك جزء كبير يسعى ليل نهار للخروج من وطن ممزق يتهاوى وهذا الجزء نواته المثقفون والمتعلمون وأصحاب العقول الذين يتيهون في مثل هذه الأجواء فلا يبقى سبيل سوى الهجرة، كما أن في هذا الجزء أيضاً الهاربون بحياتهم وأطفالهم من جنون العسكر وسنابك الخيل التي لا تبقي ولا تذر. يتحدث السواد الأعظم من الناس اليوم عن مشاعر مختلطة من الإحباط والترقب والخوف وشيء من الأمل، غير أن كل من قرأ التاريخ جيداً يعلم أن التغيير لا يمر بسلام وخصوصاً في تغيير جذري كالذي يحصل أو سيحصل في سوريا. فعندما يهاجر عقل الوطن وتبقى أطرافه ينقلب إلى كتلة ثقيلة بلا فاعلية أو معنى. وهجرة العقول مستمرة منذ أكثر من مائة عام فكيف هي اليوم وقد اتجه الوطن نحو المجهول.

تحدثنا مراراً وتكراراً عن أن كل ما ذكرناه لا يهدف إلى إشاعة أية مشاعر محبطة أو تراجعية، ولكننا نرى أن جيلا بأكمله سيدفع اليوم ثمن التغيير في سوريا مثلما دفع سابقه ثمن السكوت عن التغيير، ومثلما دفعت أجيال وأجيال أثمان قرارات أو أحداث كان لبعضهم يد فيها ولم يكن لبعضهم الآخر شأن فيها. وحيث أننا من جيل من دفعوا وسيدفعون، فإن علينا النظر إلى الأمور بواقعية وأن ننظر إلى مستقبلنا القريب كأفراد مثلما ننظر إلى مستقبلنا البعيد كأمة. فالمستقبل القريب لا يبدو أنه يحمل أية دلالات على استقرار يبدأ منه البناء أو بالأحرى إعادة البناء، أما المستقبل البعيد وهو ما نناضل من أجله اليوم فهو الأمل لأطفالنا وأحفادنا بوطن كبير يسعهم جميعاً لا يميز بينهم إلا على أسس الكفاءة والخدمة الوطنية وهي أسس طالما افتقدناها حتى فقدناها وهكذا نشأت أجيال بدونها ورضعت الواسطة والنفاق والمحسوبية والفساد حتى أصبحت هذه قيم المرحلة.

إذا كنا نقول اليوم أنه لا تجوز مساواة الجلاد بالضحية، كما أننا نقول أن كل ما يقوم به الجيش الحر أو أية جماعة مسلحة أخرى هو دفاع عن النفس والمدنيين، فإن علينا القول أن كل ذلك يؤسس بالنتيجة الأبعد لمرحلة تعمها فوضى السلاح والانضباط، فتاريخ الحركات المسلحة في العالم أجمع معروف، وعادة ما يعتبر المقاتلون أنفسهم أصحاب حق في السلطة والثروة، وسأكون جريئاً بعض الشيء إذا قلت بأنني أنظر بعين الريبة إلى ذلك "الحماس" المفرط من قبل دول الخليج وبخاصة قطر والسعودية لتسليح "كل الناس" في سوريا للدفاع عن أنفسهم، وهذه الريبة مصدرها أمران: الأول أننا لم نر هذا الحماس لتسليح الفلسطينيين في فترات حالكة شديدة ولا تسليح المعارضة العراقية لصدام حسين ولا تسليح أهل البوسنة في وجه المذابح الصربية ولا تسليح الشيشان في وجه الروس رغم أن كل هؤلاء مسلمون وهم من تدعي السعودية اليوم رفع لوائهم والدفاع عنهم، بل كان التسليح يصب دوماً في صالح الدمار والفوضى وأمثلة أفغانستان وليبيا وغيرهما مثال واضح.

قد لا يكون وقع هذا الكلام مستساغاً لدى الكثيرين ولكن كل من يتحدث عن الوحدة الوطنية اليوم عليه أن لا يؤيد طرفاً على طرف في نزاع هو أبعد ما يكون عن الأخلاقية أو شرف الحروب، والنظام السوري لديه سمعة "طيبة" في هذا المجال كما لديه تاريخ "مشرّف" أيضاً، ليس في داخل سوريا وحسب بل وخارجها أيضاً. من السهل جداً اليوم بيع السلاح وتوريده إلى أي كان فهذه تجارة رابحة حكماً وتجار الحروب يتعطشون دوماً للبحث عن أماكن النزاع والصراع في العالم. غير أن الصعب سيكون إعادة جمع هذا السلاح في حال انتهاء النزاع أو سقوط النظام، لا فرق، فالمسلحون في كل مكان ينشؤون كياناتهم الخاصة بهم، وهو ما يهدد بخطر الانقسام الداخلي، ولن يوجد يوماً من يدعم وحدة سوريا كما يتم اليوم في ليبيا، ففي سوريا لا يوجد بترول أو غاز أو أية ثروة معدنية من أي نوع ولهذا فلن يشكل التقسيم أية مشكلة سوى لدول جوار سوريا والتي تملك كل منها أجندة إقليمية مختلفة ومتناقضة ولكنها تلتقي جميعاً في غير صالح سوريا، الوطن الذي حلمنا ولا زلنا نحلم به.

قد يتحسر كثير من السوريين على ما يصفونه بالأمان الذي كانت تعيشه سوريا سابقاً، غير أنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أن ذلك الأمان لم يكن يعني سوى أماناً شخصياً بحتاً ولم يكن أمان حياة، فلم يكن الخريج يجد عملاً في أي مجال، كما أن كل الاستثمارات والشركات التي ظهرت فجأة في أرجاء سوريا كانت على ما يبدو فقاعة لم يستفد منها سوى قلة قليلة من السوريين. كان المواطن السوري لا يحصل على أبسط حقوق أي إنسان وهو السكن، وكان السوريون تندرون بأن العقارات في سوريا أغلى من بيفرلي هيلز ولكنها أسوء من الصومال، ولا يخفى أن للأمن في أي بلد دوراً مهماً في الاستقرار والتنمية، غير أن سوريا لم تحصل من الأمن سوى على الأمن، وبقيت السفارات مكتظة بطالبي الهجرة والسفر واللجوء، إن لم يكن لحاضرهم فلمستقبل أولادهم.

في العام الماضي كنا نقول بأنه إذا طال أمد الأزمة فسيتجه البلد للدمار ويغرق في دوامة من العنف والعنف المضاد، إلا أننا اليوم وبعد أن بدأنا نرى بأعيننا تلك الآثار يتبين حجم التخريب المتعمد من قبل النظام إضافة إلى الإهمال المتعمد من الخارج. نحن لا نطلب عملاً عسكرياً هنا بقدر ما كنا نطلب توازناً في التدخل الخارجي، فالمشكلة أن ما قامت به دول الاتحاد الأوروبي والجامعة العربية كان عقوبة للشعب وتجييشاً كبيراً لم يرافقه أي فعل جدي لإسقاط النظام، وبهذا وجد الناس أنفسهم بين مطرقة العقوبات وسندان النظام، والاثنتان انعكستا سلباً على حياة الناس ومعيشتهم ولكنها لم تغيّر شيئاً.

على المعارضين في الخارج أن لا يتوقعوا أبداً بأن ندواتهم وتجمعاتهم ومؤتمراتهم وسفرياتهم التي لا تنتهي والتي لا يعرف أحد من ينفق عليها ولا مداخلاتهم التلفزيونية ولا قصائد الشعر التي تتحدث عن الوحدة الوطنية وروح الانسجام والألفة بين السوريين- عليهم أن لا يتوقعوا أبداً ان هذه الأمور سوف تغني أو تسمن من جوع، ولا سيما وقد بدأ الفصل الأسوء في عمل المعارضة ألا وهو التسول باسم الشعب السوري وباتت فضائح طريقة صرف الأموال منتشرة في كل وسائل الإعلام، حتى أن بعضهم لجأ إلى تصوير المساعدات مخزنة في مكان ما وبث الصور على أنها لتلك المساعدات وقد وصلت إلى أصحابها.

لم يعد السوريون يحتملون من يتاجر بدمائهم وكرامتهم، فقد عانوا من ذلك الشيء الكثير وجربوا من تاجر بالوطنية والقومية والاشتراكية والدين عقوداً طويلة وهم يريدون اليوم شيئاً واحداً فقط: استعادة كرامتهم وبناء وطنهم من جديد ولملمة أشلائه التي بعثرها من ادعوا يوماً بأنهم "بناة الوطن وحماة الديار".

# القاتل قتيلاً، القتيل قاتلاً؟

■ فاروق يوسف

**في مكان ما، إن اجتمعا سيقول القتيل للقاتل: "لمَ قتلتني؟". ولأنه يملك حق الرد هناك فإن القاتل ربما سيسأل قتيله: "لمَ دفعتني إلى قتلك؟". يعرف الاثنان أن تبادل الأدوار بينهما كان في لحظة سابقةٍ ممكنا. أي أن يكون القاتل قتيلاً ويكون القتيل قاتلاً. أما الآن وقد التصقت كل صفة بحاملها، فإن العودة إلى الماضي لم تعد ممكنة. هذا لا يعني أن المرء قبل أن يكون قاتلاً، قد خرج من بيته ليمارس القتل. كذلك الحال بالنسبة إلى الشخص قبل أن يكون قتيلاً وأصبح كذلك في ما بعد، الذي لم يخطط حين الخروج من البيت لكي يكون ميتاً بصفة قتيل.**

## هل حدث الأمر بالمصادفة؟

شيء من هذا القبيل يحدث في المدن السورية اليوم. قبلها طبعاً حدث الشيء نفسه في الكثير من مدن العالم، ما يجعل تلك العلاقة تطفو على السطح باعتبارها مؤشراً لتغير يضرب بعنفه جوهر الصفات الإنسانية في لحظة ذروة غير مقصودة لذاتها. في حالة من هذا النوع لا يمكننا أن نصف مشهد القتل قبل وقوعه. فما من تخطيط مسبق له. فلا القاتل خطط لأن يصبح قاتلاً ولا القتيل حضر إلى البقعة التي سيسقط عليها سقطته الأخيرة لكي يمثّل دور القتيل. كما لو أن هناك قوة ثالثة. يداً خفية تضع الاثنين في الحلبة، في حالة مواجهة مصيرية من غير أن تكون هناك أسباب مسبقة لتوتر العلاقة الشخصية بينهما. لا حوار متشنجاً ولا صخب ولا تقاطع مصالح ولا توتر نفسياً ولا حتى معرفة مسبقة، بل كان من الممكن أن لا يكون هناك طرفان ولا تكون هناك مجابهة. غير أن ضربة إصبع على الطاولة، وقوع رأس عصا على الطبل، فرقعة أصبعين في كفّ ثابتة تخلخل الهواء ويتحوّل صدى تلك الفرقعة المدوّي إلى ذريعة للاشتباك والاشتباه والريبة، ومن ثم الخوف.

## إلى القيامة

في الحروب الأهلية، حروب السلطة على الناس وحروب الناس على السلطة وحروب الناس على الناس، غالباً ما يقل الاهتمام بالاحتراف، ويكون القتلة غير المتوقعين من الهواة المجانيين. ليس المقصود هنا هواية القتل بل بما يؤدي إلى نقيض الاحتراف من معان. وهذا ما يفضي بالقاتل إلى أن يسبق القتيل إلى الخوف. يكون القاتل خائفاً لأنه يعرف أنه يقدم على القيام بفعل غير مسبوق، بسببه ستلتصق به صفة سوداء ترافقه إلى القيامة. في الوقت نفسه يكون القتيل مطمئناً، ذلك لأنه لا يعرف أنه سيحمل بعد لحظات صفة بيضاء سترافقه هو الآخر إلى القيامة.

الإنسانية كلها تقع في لحظة الخطر تلك. النقائض كلها. الإيمان والكفر، الجمال والقبح، الكرامة والضعة. وهي اللحظة التي يمكنها لو مرّت حاملة أثقالها المزرية، أن تشكل بداية الانهيار، حيث يتشظى جسد القتيل، وفي المقابل تتشظى روح القاتل. وبالقوة نفسها التي يصبح فيها القتيل قتيلاً إلى الأبد، فإن القاتل هو الآخر يصبح قاتلاً إلى الأبد. ما من إمكان للعودة إلى ما قبل تلك الواقعة من صفات. هنا بالضبط ينتقل القتل من الهواية إلى الحرفة. سيسمّي القتيل قاتله: "هو". لأنه لا يعرفه ولم تتح له فرصة مخاطبته، وهو لا يدري أن القاتل يطلق عليه ضمير الشخص الثالث المنفصل نفسه "هو". ما من "أنت" ولا "أنا". ستختفي الضمائر الشخصية، فما من شيء شخصي. "مَن يخاطب مَن؟". يصمت القتيل لأن الموتى لا يحتاجون إلى اللغة للتعبير عن مشاعرهم، أما القاتل فإن صمته يؤكد عزلة وظيفته عن كل لغة، في إمكانها أن تسعى إلى التمييز بين الخطأ والصواب، بين الحق والباطل، بين الشر والألم. "سوري يقتل سورياً"، يقال الآن. من قبل قيل "لبناني يقتل لبنانياً"، من بعدها قيل "عراقي يقتل عراقياً". وما من أحد يرغب في قياس المسافة الحرجة التي بسببها صار القتل ممكناً. كما لو أن القتل صار مهنة، يشير البعض إلى شركات المرتزقة، الأميركية والأوروبية، باعتبارها شركات أعمال، يتسابق كثيرون من أجل عرض خدماتهم عليها والتوظيف فيها. كان للفرنسيين سبقهم في هذا المجال، في ما شهدته القارة الأفريقية من مجازر تخطت حدود القصور والحقول الرئاسية إلى الغابات وصحارى القبائل المتنازعة. بعد الفرنسيين التحق الأميركيون بالدسيسة المبيتة، وكانت شركة "بلاك ووتر" واحدة من أعظم مآثرهم في هذا المجال، حيث كان لتلك الشركة في العراق أهوال مفزعة. غير أن تنظيم "القاعدة"، وقد اختبر أميركيا منذ الحرب الأفغانية الأولى، قد طرح مفهوماً آخر لهذه المهنة: القاتل الذي هو قتيل في الوقت نفسه. الانتحار بالنفس وبالآخرين: "لنذهب معاً إلى الآخرة أيها الأعزاء".

## معادلات الحزام الناسف

مع هذا التحول الاستعراضي الذي ازدهر انطلاقاً من أوهام عقائدية، انمحى السؤال القديم. لن يقول القتيل للقاتل، اللذان هما الشخص نفسه: "لِمَ قتلتني؟". الاثنان يتشظيان جسدياً وروحياً في اللحظة ذاتها، ومعها تتشظى أجساد طاهرة وأرواح بريئة. دخول الحزام الناسف سلاحاً لا يمكن الوقاية منه، غيّر الكثير من المعادلات. صار المرء يذهب إلى القتل مسلحاً بعدة عقائدية، لا تتضمن تسويات دنيوية البتة. ذلك لأن الذهاب إلى عالم غير متاح، سيكون ميسّراً من خلال نسف إمكان العيش في عالم متاح. وهذا ما لا يفعله القتلة التقليديون الذين صاروا يحيطون بنا من كل جانب. بعد كل هذه الحروب الأهلية التي عشنا أهوالها، انتقلنا إلى مرحلة الاعتراف بالعالم المتاح، كونه هبة من أولئك القتلة. هل علينا أن نسمّيهم قتلة سابقين؟ القتل لا يسقط بالتقادم، لذلك فما من قاتل سيكون في إمكانه أن ينزع عنه الصفة التي سترافقه إلى القيامة. غير أن الواقع يقول شيئاً آخر. القتلة صاروا، بقوة ما ارتكبوه من جرائم، قادة، زعماء أحزاب، ممثلي طوائف ومشرعين. هم الآن ومنذ زمن بعيد فكرة مجسدة عن القتل تمشي على قدمين. صرنا نرى القتلة من خلال شاشات التلفزيون باعتبارهم أبطالاً أفذاذاً. ما من أحد يفكر في أن يوجه إلى واحد من أولئك القتلة أسئلة من نوع: "لِمَ قتلت؟ أو كيف ومتى أصبحت قاتلاً؟".

ترى لِمَ لا نشعر بالتناقض بين شعورنا بالعار بسبب القتل وبين حماستنا للتصفيق للقتلة واحتضانهم باعتبارهم منقذين. كل حرب أهلية لا تنتج إلا قتلة. كما قلت فإن ماضي القتل ليس ماضياً، شبحه لا يقيم في منطقة زمنية بعينها، لذلك من غير المسموح لنا بأن نقول إن ذلك الزعيم كان قاتلاً في الماضي، ونسكت مطمئنين إلى المستقبل. من قال إن القاتل (السابق!) لن يكون قاتلاً في كل لحظة؟ من أين يصدر ذلك الاطمئنان؟ كل الطغاة الذين أكسبوا الجزء الأكبر من أعمارنا طابعاً حزيناً، كانوا قد قتلوا رفاق مسيرتهم، قبل أن يتحوّلوا ماكينة شمولية للقتل لا تفرّق بين أحد وآخر إلا وفق معنى ضيق وغامض للولاء. أعتقد أننا، وأقصد عرب الشرق، قد تماهينا كثيراً مع ثقافة القتل. أتذكر من ثمانينات القرن الماضي مشاهد حفلات الإعدام التي كانت تقام في مختلف الأماكن من العراق (المدن، القرى، جبهات القتال) للشباب المجندين الذين لم تكن لديهم رغبة في الدخول إلى مطحنة الحرب. كان هناك بشر من مختلف الأعمار، نساء ورجالاً وأطفالاً وشباباً، يقفون في حلقات في انتظار موت الآخرين الضعفاء الذي يحضر من طريق القتل. كل هذه القسوة، وهناك من لا يزال يتغنّى بعواء العاطفة.

## صرنا وحوشاً

هل علينا أن نصدّق أن للقتيل حصة في صنع مشهد القتل الذي كان ضحيته؟ "بصدور عارية يواجه المدنيون الثوار رصاص السلطة". حتى هذه الجملة الدعائية، وهي جملة أدبية فيها الكثير من المجاز، لا تبرر القتل ولا تفسره ولا تمضي به إلى مستقر قانوني. في حالة من هذا النوع، فإن الجريمة لا تشمل القتيل بل والقاتل أيضاً، كونها انتقلت به (القاتل) من إنسانية، كان من الممكن أن تكون محل نقاش إلى حيوانية نزعت عنه القدرة على أن يستعيد ثقته بامتلاكه شروط وجوده البشري. كان مشهد القذافي الهلع وهو يهدد المتمردين على سلطته وحشيا، غير أن مشهد مقتله قد أكد أن ثقافة الوحوش هي التي انتصرت أخيراً، ولا مجال هنا للحديث عن الحرية والديمقراطية والسعي لبناء مجتمعات متماسكة يسودها العدل. لقد صار القتلة يملأون شاشات التلفزيون. ثقافة القتل صارت ميزاناً بحيث صار لدينا معيار يميز قتلاً عن قتل آخر. لولا ما رأيناه، لكنت قد تحدثت عن علاقة متوقعة بين قاتل وقتيل مجهولي الهوية. لربما التقى الاثنان في أوقات سابقة في الباص أو السوبر ماركت أو ملعب كرة القدم أو الحديقة العامة. ولربما كان القاتل مهذباً وسمح للقتيل بأن يتقدمه إلى شبّاك التذاكر في سينما الحي الوحيدة أو في محطة القطار. ربما شاهدا الفيلم نفسه وأطلقا ضحكات متشابهة. لكن سلوك الوحش وقد فلت من القفص، لا يسمح بأيّ خيال إنساني. لقد صرنا وحوشاً.

ملحق النهار | 24 / 3 / 2012

# الرّقــــة تنتفـــض..

# الثــوّرة تعمّ الجزيــرة السوريّة

■ محمد دحنون

حـاول النظـام السـوريّ أن «يكافئ»، علـى طريقته، مدينة الرقة (200 كم شـرق حلب) علـى ما اعتقده مسـاندة المدينـة لـه فـي مواجهـة «المؤامـرة». حدث هذا في اليوم الأوّل مـن أيّام عيـد الأضحى العـام الفائت، حيـن ذهـب رأس النظام إلـى المدينة الواقعـة على نهر الفـرات ليؤدي صلاة العيد مع «جموع المواطنين».

## كما العادة، أخطأ النظام في اعتقاده!

في يوم الخامس عشـر من شـهر آذار الجـاري، ردّ أبنـاء المدينـة علـى الزيـارة: عشـرات آلاف المتظاهريـن يجوبـون شـوارعها هاتفين بسـقوط النظـام. شـكّل هـذا اليـوم موعـداً لانخـراط المدينـة الكامـل بالثـوّرة. حملت المحافظة الشـرقيّة راية المدن الثائـرة التي اجتيحت، لتشـكّل مفاجأة سارّة للمنتفضين وصاعقة للنظام!

عن الرقة وحراكها، والتحاقها التام بقطار الثوّرة وأفقه، هنا حديث مع أحد ناشطي المدينة..

## ثالث مدينة منتفضة!

ينفي الناشط أبو إبراهيم الرّقاوي «السّـمعة الشائعة» عن تأخّر المدينة فـي الالتحـاق بركـب الثـوّرة. يقول: «الرّقـة كانت ثالـث مدينـة تحرّكت». ولكنّـه يعلّـل تلك السّـمعة «بضعف التنسـيق وقلة الخبـرة اللذين أديّا إلى عـدم إيصـال الصـورة الصحيحـة عن المدينة في الوقت المناسـب، برغم أن الحراك كان مسـتمراً من دون انقطاع، ولكن بصورة ضعيفة». من جهة أخرى، يعتبـر أبو إبراهيـم أن «طبيعة الناس في المدينة، وتركيبـة المجتمع الراقي المنعـزل ضمـن العشـيرة، بالإضافـة لقلـة العامليـن بالمجـال السياسـي، والناشـطين، عـدا التهميـش الـذي تعرّضت له المدينة على مدى عقود»، هي أسباب ساهمت في إضعاف انخراط الرّقة في الثوّرة.

بحسـب الناشـط الرّقـاوي، كانت أوّل تظاهـرة شـهدتها المدينـة فـي الخامس والعشرين من شهر آذار العامّ الفائت، أي بعد عشـرة أيـام من اندلاع الثوّرة. «أنطلقت مـن جامع الفردوس بمشـاركة مئات الأشـخاص، واسـتمر الحراك على هذا المنـوال طوال أربعة أشهر، إلاّ أنه انخفض بين شهري تموز وأيلـول من العام الفائـت، وذلك لكثرة الاعتقـالات بيـن صفـوف الناشـطين وتشـديد المراقبـة الأمنيـة عليهـم، وهـروب البعض خارج البلد». ويضيف: «كمـا شـهدت المدينـة أوّل اعتصـام أمام القصر العدلي ولمدة خمسـة أيام متتاليـة، وتميز بحضور نسـائي لافت. لتشـتدّ، بعد ذلـك، القبضـة الأمنية، ولتبدأ التظاهرات الطيارة بشكل يومي وبـكل مناطق المحافظـة، علّها توقظ النائمين من سباتهم».

فـي الثانـي مـن شـهر شـباط الماضي «اسـتيقظ النائمون». شهدت المحافظـة، التـي يبلـغ عـدد سـكانها حوالي مليون نسمة، تظاهرات حاشدة قدّر عـدد المشـاركين فيها بعشـرات الآلاف. وبحسـب الناشـط «امتـدّت التظاهـرات ثلاثـة أيـام، قـام خلالها المتظاهـرون بكسـر سـيارات الأمـن وحرقهـا وحرق شـعبة حزبيـة وبعض مفارز الأمـن الموزعة في الشـوارع». وخـلال هـذه التظاهـرات سـقط أوّل شـهداء المحافظـة، حينما قـام بعض المتظاهرين في إحدى القرى «بالهرب من قـوّات الأمن عبر النهر، ما أدى إلى غـرق أحدهم، وعثـر على جثتـه قبل أسبوعين فقط!».

## 15 آذار: الثوّرة في الرقة

فـي الذكـرى السـنويّة الأولـى للثـوّرة، وعلـى امتـداد ثلاثـة أيـام، أزهقـت قـوات الأمـن والجيـش أرواح ثلاثة عشـر مواطناً سـوريّاً دفاعاً عن تمثال لحافظ الأسد حاول المتظاهرون الرّقاويون تحطيمه!

بـدأ الأمـر بتجمّـع سـبعة آلاف متظاهـر اسـتجابة لدعـوة تنسـيقية المدينـة يوم الخميـس الماضي، ردّت قوات الأمن بحسب أبو إبراهيم «بإطلاق النار بشـكل عرائسي في البداية، لكن المتظاهرين كانوا مصرّين على إكمال التظاهـرة، فأطلق عناصـر الأمن النار بشكل مباشر عليهم». كانت الحصيلة سـقوط الشـهيد علي البابنسي وعدد من الجرحى.

يتابـع أبـو إبراهيـم: «نقـل المتظاهرون جثمان الشـهيد لمنزله»، وتحسباً من خطف الجثة من قبل قوات الأمن «بقـي المتظاهرون يحرسـونه حتـى موعد التشـييع في صباح اليوم التالـي». ويضيـف: «عمليّاً، اسـتمرت التظاهـرة لإحـدى وعشـرين سـاعة متواصلـة محطّمة بذلك أطـول فترة تظاهر في سوريا، وكان عدد المشيّعين قد بلغ أكثر من 150 ألف شخص ساروا أكثر من 9 كيلومترات من جامع الفوّاز إلى مقبرة تل البيعة».

لم تكن المواجهة الكبرى مع قوات الأمن قد حدثت بعد. أصرّ المتظاهرون بعد انتهاء التشـييع علـى الوصول إلى تمثـال للرئيس السـابق حافظ الأسـد لإزالتـه، فاضطـرت قـوات الأمـن إلى الاسـتعانة بقـوات الفرقـة السـابعة عشرة، التي قامت بتقسيم المدينة إلى قطاعات ووضعت الدبابات حول التمثال بالإضافـة إلـى أكثـر مـن 100 جندي نظامي لحمايته.. وبدأت المواجهة.

يقـول الرّقـاوي: «بـدأوا بإطلاق النيـران مباشـرة، وسـقط أكثـر مـن سـتة شـهداء وثلاثين جريحاً. استمرت المواجهة حتى الساعة السادسة مساءً، وقـام بعـض المتظاهريـن بحمايـة جثامين الشـهداء لمنـع الأمـن مـن اختطافهـا». ويضيف: «تكرر المشـهد مـرة أخرى يوم السـبت بعد التشـييع. فقد بدأ المشـيّعون بالتجمع محاولين الوصـول إلى التمثـال، وتكرر مشـهد القتل والقنص، فسـقط سبعة شهداء وأكثر من ثلاثة وعشرين جريحاً».

انتهت المناوشات، بحسب الناشط الرّقـاوي، فـي مسـاء يـوم السـبت، وعاشت المدينة ما يشبه حظراً للتجول لتسـتأنف تظاهراتها صباح يوم الأحد، «فقـد اسـتفاقت الرقـة علـى خمـس تظاهرات قبل الساعة السابعة صباحاً، وامتـلأت الشـوارع الرئيسـية بانتظار جنـازات التشـييع، ولكـن لـم يحـدث أي تشـييع، فقـد أجبـرت قـوّات الأمن العائلات على دفن شهدائهم فجراً».

خلال أربعة أيام قدّمت المحافظة ثلاثة عشـر شـهيداً، وعلى امتداد عام من الثوّرة اعتقل خمسمئة شخص من أبنائها. برغم ذلك، يجيب أبو إبراهيم، بواقعيّـة، عـن سـؤال حـول إمكانيّة اسـتمرار زخـم الحـراك الثـوّري فـي محافظته. يقـول: «لا أظن بأن الحراك سيسـتمر بالزخم نفسـه نظراً لتهديد الأمـن لأهالـي المعتقلين بتصفيّـة أبنائهـم، واعتقـال آباء وإخـوة بعض الشـهداء، بالإضافة للاعتقالات الكثيرة فـي صفوف الناشـطين». ويسـتدرك: «ولكن، وهذا على لسـان الشـباب في المدينة: لن ندع اسم الرقة يغيب لفترة طويلة عن شاشات الإعلام».

ملحق شباب السفير | 20 / 3 / 2012

# أين المثقفون السوريون من الثورة

■ روزا ياسين حسن

سؤال ما فتئ يطرح طيلة شهور الثورة السورية يخصّ دور المثقفين فيها! يطرح السؤال أحياناً من باب الاستفسار، وأحياناً أكثر من باب الاستهجان والتخوين، خصوصاً وأن التطورات المتعاقبة للثورة جعلت دور المثقفين ينحسر أكثر مما كان في بداياتها لأسباب كثيرة يمكننا النقاش حولها. ولئن كانت الأصوات التي تخصّ ذلك تدور في فلك اتهام المثقفين بقلّة الشجاعة والانتهازية أو التماهي مع الديكتاتورية والانفصال عن الشعب والسكن في الأبراج العاجية، فإن وضع المثقفين كلهم في سلة واحدة أمر خاطئ، كما لا يمكننا النظر إلى أي شريحة بهذا المنطق الجمعي! كما أن الأمر أبعد من ذلك غوراً.

ففي معرض التذكر نلاحظ أنه ومنذ ازدهار حركات التحرر العالمية ومدّ الانتماءات الإيديولوجيات، خصوصاً اليسارية منها والقومية، والمثقفون والسياسيون أقرب ما يكونون إلى جبهة واحدة. فقد كان من الصعب أن ترى في الخمسينيات والستينيات مثقفاً سورياً غير مسيّس أو سياسياً غير مهتمّ بالثقافة! بالتالي كوّنت الثقافة والسياسة شيئاً بدا أقرب إلى جبهة تتناوشها علاقة خفية/ واضحة جعلت من السياسة، عموماً، محقونة بالفكر، كما جعلت من المثقف ملتصقاً بهموم مواطنه وسياسات عصره.

بعد مجيء حزب البعث إلى السلطة في سوريا كان ثمة إصرارٌ ممنهج على تشظية تلك الجبهة، فأتت أحداث الثمانينات وتصاعد خيار النظام الأمني الضاري، الذي تبدى في أحد أوجهه بالحرب على حماة وجسر الشغور، كما حملات الاعتقال الشاسعة التي طالت مروحة المعارضة بدءاً من الشيوعيين بتنوعاتهم الحزبية مروراً بالأحزاب القومية فالتيارات الدينية. ذلك العنف الشرس الذي تمّ تطبيقه على المعارضين، وتفريغ العمل السياسي والمدني من معناه وفاعليته، كل ذلك أدى إلى انقسام تلك الجبهة العتيدة: جبهة المثقفين والسياسيين. ولئن بدا أن جبهة المثقفين انكفأت على نفسها، إلا أنها في الحقيقة انقسمت إلى شقين: شق آثر الالتحاق بركب السلطة والتحوّل إلى جزء منها، وبالتالي انخرط في أحزابها ومؤسساتها الثقافية وغير الثقافية الفاعلة، ملكياً أكثر من الملك، متنعماً بخيرات السلطة مسخّراً قلمه لخدمتها وللطعن بالمثقفين الذين لم يرضوا التدجين، وأولئك هم الشقّ الآخر الذي احتفظ بمعارضته وموقفه ضد الديكتاتورية ولكن بصمت أو بموارية، فالكلمة كانت ستودي بقائلها إلى مصير يشبه مصير رفاقه من المعارضة في المنفى أو في السجن أو تحت التراب. وربما كان أول تحرك لهذا الشق من المثقفين في بدايات التسعينيات حينما أصدر بعضهم بيان "التسع والتسعين" ضد مشاركة النظام السوري في حرب أميركا على العراق. وربما هذا ما يبرر شراسة السلطات وصدمتها آنذاك بصدور البيان بعد طول صمت!

هذه البنى ظلت تتراكم في دواخل المثقفين المعارضين على مدى عقود، جزء كبير منهم تصالح معها وظل معارضاً بسكون، وجزء منهم دفع حياته ثمناً لعدم قدرته على التصالح مع الصمت، وجزء راحت آليات النجاة داخله تقنعه بأن ثمة إيجابيات في النظام القائم تجبره على التعايش معه، ولكن ليس الانخراط فيه. من هذه الإيجابيات (المفترضة) الجانب الإيديولوجي/ السياسي الذي جعل الكثير من المثقفين يدافعون عن نظام يعتقدونه نظاماً ممانعاً وعلمانياً حداثوياً، كذرائع تكاد تلتقي مع خطاب السلطة. ويمكننا أن نتذكر أن الكثير من المثقفين السوريين الذين كانوا في خانة المعارضة دافعوا بشراسة عن مقدم بشار الأسد إلى الحكم عام 2000، على الرغم من أن بعضهم لم يكن وقوفه إلى جانب السلطة للقناعات الإيديولوجية السابقة التي قلتها بل لأنها ببساطة وهبته مكاسب عديدة مادية أم معنوية في تعامل جديد مع المثقفين يدخل في خانة: "ألاعيب الديكتاتوريات الحديثة"!!.

لكن الأعيب تلك جعلت من المثقفين، كما السياسيين، شريحة شبه منفصلة في تأثيرها وفاعليتها عن بقية شرائح المجتمع طيلة العقود الماضية، لذلك لا يمكننا، في معرض التفكيك هذا، النظر إلى المثقفين البعيدين عن الشارع باعتبارهم في معظمهم انتهازيين، فبعد أفول موجة الأيديولوجيات التقدمية التي تكلّمت عن التصاق المثقف بشعبه والتماهي مع طبقته والنزول إلى رجل الشارع، راح المثقف يبحث عن تفرّده وفردانيته والتي هي (بنسختها الأسوأ) بعدٌ تام عن الجموع والعيش في قفص التنظير، كما ترافق هذا مع موجة عالمية بعد حداثوية تنظر للانسلاخ ذاته، فارتبط وجود المثقف بثقافته وإبداعه فحسب وإلى حد بعيد.

من كل ما سبق أعتقد أن المثقف السوري صُدم كما غيره بالثورة، فهي ثورة مفاجئة مباغتة، خصوصاً بعد تلك العقود التي أظهرت الشعب خانعاً مستسلماً. وهنا تجلّت نتائج التاريخ، فالثورة التي لم يكن للنخب الثقافية أو السياسية تأثيراً مباشراً في اشتعالها، رغم أننا لا يمكن أن نتجاهل التأثير التراكمي الخفي، شعرت بأنها ثورة منفصلة عنها. ولئن حاولت تلك النخب الالتحاق بالثورة فقد اعتقدت بأن الانصياع الكامل لرغبة الشارع واجبهم، وتخلّوا عن دورهم النقدي والتوعوي في أكثر الأوقات حاجة إليه! وإذا استثنينا بعض المناطق، وفي بعض الأوقات، التي كان لمثقفيها دور فاعل في ثورتها، وهو دور اجتماعي بالدرجة الأولى، فإن فاعلية المثقفين، في عموم مناطق الثورة، كانت شبه معدومة، وهذا ما جعل الثورة تنحرف أحياناً عن مسارها أو تجنح نحو الانتقام والتطرف في بعض المناطق المشتعلة.

لقد انخرط البعض القليل من مثقفي سوريا في الثورة تماماً وكتب عنها (مشيحاً بنظره حتى عن أخطائها)، البعض الآخر معها في العمق لكنه متخوّف من حرب أهلية أو مشاكل طائفية (خصوصاً من ينتمي إلى أقليات طائفية أو إثنية)، البعض منهم من العلمانيين مع إرادة الشعوب حقاً ولكن المدّ الإسلامي (المزعوم) يجعلهم متخوفين في ظل تعتيم على الكثير من الحقائق بين مدينة ومدينة وشريحة وشريحة. ولئن خرج من يقول: "لم لا نرى أولئك المثقفين في الشارع؟" فأنا أعتقد أن انفراجة أمنية بسيطة ستجعل الكثير منهم يظهرون في الشوارع، كما سيبقى البعض منهم أيضاً مصراً على موقفه، وستنقلب مواقف البعض الآخر بانتهازية. فالمظاهرات اليوم أشبه بمشاريع للشهادة لا يقدر الجميع على شجاعتها. ويمكننا أن نذكر الكثير ممن اعتقل، في مظاهرات المثقفين أو نشاطات أخرى، خصوصاً الشباب الذين يحاولون التخلص من عبء الارتهان للإبداع فحسب، الأمر الذي اعتاد عليه بعض شيوخ المثقفين.

نهاية، أعتقد أن مقارنة مثقفي سوريا بمثقفي مصر الثورة أمر مجحف، فقصر عمر الثورة المصرية وإيجاد مكان معتمد لنزول المتظاهرين هو ميدان التحرير ووقوف الجيش مع الشعب ووجود وسائل الإعلام المتنوعة كل ذلك يجعل المقارنة بالوضع السوري أمراً صعباً وظالماً للغاية.

عمل لـ أكرم الحلبي

# الخبـرة فـي القانـون السـوري

■ ياسر مرزوق

عنيت الشرائع في مختلف العصور بالإثبات سواء في القضايا المدنية و التجارية أو الجزائية، فالإثبات أداة ضرورية يستند إليها القاضي للتحقق من الوقائع القانونية، وهو الوسيلة العملية التي يعتمد عليها الأفراد في صيانة حقوقهم المترتبة على تلك الوقائع، وتعتبر الخبرة من أهم طرق الإثبات المباشرة، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن الخبرة تقتصر على المسائل الفنية والمادية وحدها دون المسائل القانونية التي تظل من اختصاص القاضي وحده.

## تعريف الخبرة

لم يأت المشرع السوري على تعريف محدد للخبرة، لكن المادة /138/ من قانون البينات السوري تبين أنه للمحكمة من تلقاء نفسها أو بناءً على طلب الخصوم أن تقرر إجراء تحقيق فني بواسطة خبير واحد أو ثلاثة خبراء إذا كان الفصل في الدعوى موقوفاً على تحقيق أمور تستلزم معرفة فنية.

كما جاء في اجتهاد لمحكمة النقض السورية " أن الخبرة مشورة فنية تلجأ إليها المحكمة في الأمور الفنية، ويعود إليها الحق في اعتمادها جزئياً أو كلياً أو إهمالها، كما أنها ليست ملزمة بمناقشة الخبرة أو إعادتها كلما طلب منها ذلك مادامت قد وجدت أن الخبرة كافية وواضحة ولا يوجد في أوراق الدعوى ما يخالفها.

وكما أسلفنا فإن موضوع الخبرة هو دوما من المسائل الفنية التي تتعلق بموضوع النزاع، ولا يستطيع القاضي التعرف على حقيقتها أو القطع فيها برأي ليبني عليه حكمه، ويشترط في موضوع الخبرة ما يلي:

- أن يكون محل الخبرة متعلقاً بالدعوى، فلا تجوز الخبرة على أشياء تخرج عن موضوع الدعوى.
- أن يكون محل الخبرة منازعاً فيه.
- يجب أن يكون موضوع الخبرة منتجاً في الإثبات، لا تجوز الخبرة على شيء زالت آثاره كلياً، كإجراء الخبرة على سيارة أصيبت بحادث صدم بعد إصلاحها لتقدير مدى الضرر الذي لحق بها.
- لا تجوز الخبرة على شيء ممنوع قانوناً، أو مخالف للنظام العام والآداب أو يمس حرية المدعى عليه أو شخصه، فلا يجوز إجراء الخبرة على مواد مخدرة لتقدير مدى جودتها خلافاً لشروط العقد، لأنها محظورة قانوناً.
- أن يكون محل النزاع صالحاً لإجراء الخبرة عليه، فلا يجوز إجراء الخبرة على المواقع العسكرية والعتاد الحربي التابع للجيش إلا في الحدود التي تسمح بها طبيعة تلك المواقع ومدى سريتها.
- لا تجوز الخبرة على التصرفات القانونية، إلا أنها تجوز على محل هذه التصرفات القانونية والآثار التي ترتبت عليها كما يجوز إجراء الخبرة على الأوراق والمستندات التي تم فيها تدوين هذه التصرفات.

## صلاحية القضاء في اللجوء إلى الخبرة

يقضي مبدأ الحياد أن على القاضي أن لا يبني قناعته في الدعوى إلا في ضوء ما يقدمه الخصوم من أدلة، إلا أنه أحياناً على القاضي الخروج عن هذا المبدأ والبحث عن الحقيقة بمعزل عن أدلة الخصوم، ويتجلى هذا النظام في مؤسسة الخبرة.

- صلاحية القاضي المدني في اللجوء للخبرة: أكد قانون البينات على أنه للقاضي من تلقاء نفسه أو بناءً على طلب الخصوم أن يقرر إجراء الخبرة، وعليه في حال رفضه طلب أحد الخصوم بإجراء الخبرة أن يقدم مبررات قانونية لتعليل قراره، إلا أن هذه الصلاحية ليست مطلقة، لأنه إن كان بإمكانه فصل الدعوى دون إجراء التحقيق الفني، فإن لجوءه إلى الخبرة يكون غير جائز قانوناً، كما أنه من صلاحية المحكمة أن لا تتقيد بالقرار الذي تصدره بإجراء الخبرة فيجوز أن تعدل عنه متى وجدت بعد ذلك في وثائق الدعوى ما يكفيها لتكوين عقيدتها في موضوع الدعوى، إلا أن هناك بعض الحالات يكزن القاضي فيها ملزماً باللجوء إلى الخبرة بنص القانون والاجتهاد عليها ومنها " تقدير قيمة الدعوى، تقييم الأشياء النفيسة المحجوزة، التنفيذ على العقارات المحجوزة، تقدير قيمة الأشياء الجهازية، الأمراض العقلية، الوقائع المرضية، في قانون الجمارك إثبات الحمل، التزوير ".

- صلاحية القاضي الجزائي في اللجوء للخبرة: اكتفى قانون أصول المحاكمات الجزائية بالإشارة إلى الخبرة عند البحث في حالة الجرم المشهود حث جاء في المادة /39/ منه " إذا توقف تمييز ماهية الجرم وأحواله على معرفة بعض الفنون والصنائع فعلى النائب العام أن يصطحب واحداً أو أكثر من أرباب الفن والصنعة ". كما نصت المادة /40/ على أنه" إذا مات شخص قتلاً أو بأسباب مجهولة باعثة على الشبهة فيستعين النائب العام بطبيب أو أكثر لتنظيم تقرير بأسباب الوفاة وبحالة جثة الميت ".

كما أن هناك بعض أنواع الدعاوى التي لا يجوز للقاضي أن يرفض اللجوء إلى الخبرة فيها ومنها " جرم التزوير، جرم الحيازة والاتجار بالمخدرات، الإيذاء الجسدي، تحليل السموم، رفع البصمات... "

- فئات الخبراء في سوريا: " الأطباء الشرعيون، خبراء الأدلة القضائية، خبراء الجدول وهم الخبراء الفنيون فيما خلا الفئتين الأخيرتين " ويشترط بالخبير أن يكون عربياً سورياً متمتعاً بحقوقه المدنية، متماً الخامسة والعشرين من العمر، سالماً من الأمراض السارية والعاهات التي تمنعه من أداء عمله، غير محكوم عليه بجناية أو جنحة شائنة، غير مطرود أو معزول من عمل حر أومن أي عمل في الدولة، من غير العاملين في الدولة إلا إذا وافقت الجهة التي يعمل لديها، له موطن ثابت في المحافظة التي سيزاول عمل الخبرة فيها، حائزاً على شهادة سورية تتراوح بين الجامعية والمعهد المتوسط، والثانوية الفنية بحسب موضوع الخبرة، وأن يكون مارس عمله مدة خمس سنوات بعد حصوله على الشهادة المطلوبة ".

كما يتم رد الخبير إذا كان بينه وبين أحد الخصوم عداوة أو صداقة أو شراكة في العمل، أو إذا أقيمت بينه أو بين أحد الخصوم أو أحد أقاربه أو مصاهريه حتى الدرجة الرابعة دعوى مدنية أو جزائية خلال السنوات الخمس السابقة

أما عن حالات بطلان الخبرة، فالخبرة باطلة إذا شابها عيب جوهري ومن هذه العيوب وليس على سبيل الحصر: تسمية الخبراء من خارج الجدول، اختيار الخبير من قبل المحكمة قبل التحقق من اتفاق الأطراف عليه، عدم حلف اليمين، صدور الخبرة من خبير غير مختص، مباشرة الخبير الخبرة دون دعوة الخصوم، استبدال الخبير قبل تبليغه، خلو تقرير الخبرة من أسبابه، عدم وضوح الخبرة.

ومن الملاحظ أن اللجوء للخبرة يزداد انتشاراً من الناحية العملية، مما يؤدي إلى إطالة أمد التقاضي، وزيادة النفقات لذلك يجب التأكيد على ضرورة عدم إساءة استخدام الصلاحيات الممنوحة للقضاء باللجوء إلى الخبرة، وعدم استخدامها للضرورة، لأنها طريق استثنائي مباشر أوجده المشرع لضرورات عملية لمواجهة بعض التقنيات التي يصعب على القاضي إدراكها.

أنا حر أكتب بلغة حرة دون تكلف أعبر عن أفكاري بدون قيود أو معوقات لغتي بسيطة وهدفي واضح كلمة حق تصل مباشرة لكل من يعيش معاناتي ويحلم نفس حلمي .. أنا مواطن سوري حر.. حبر حر: مساحة رأي تنشر بالتزامن على المواقع التالية:
سوريا فوق الجميع | كبريت | المندسة السورية | صفحة الشعب السوري عارف طريقه | صفحة حركة شباب 17 نيسان | راديو واحد
زائد واحد | مجلة سوريتنا | مجلة سوريا بدها حرية | صبايا وشباب المجتمع المدني

# تسلّح السلمية وسلمية السلاح.. الطريق الوحيد لانتصار الثورة السورية

النظام و الثورة وصلا إلى مرحلة اللاعودة ولكن في ظل قيادة سياسية هشة للمعارضة والفشل "القريب من الذريع" لأداءها الراهن وصمت العالم المتوقع لأن المجتمع الدولي على ما يبدو حين يريد أن يصغي لسوريا يضع أذنه في تل أبيب

من هنا باتت الثورة تعرف أنها يجب أن تحمي نفسها. و من لدن المؤسسة العسكرية المحكمة الإغلاق خرج السلاح بعنوانين.

الأول الضباط الأحرار و لسبب غامض تم التعتيم عليه بسرعة بعد اختطاف قائده الهرموش مخدرا من تركيا.

والثاني جاء لاحقا و اسمه الجيش الحر. و بسبب تعامل السوريين معه بحذر غريزي معهود مع الأيام والارتباكات الأولى، والتخبط السياسي، وإعتماد إعلام الثورة مبدأ الاصطفاء والانتقاء "كالجزيرة مثلا ". تأخر التعرف على الجيش الحر.... من هو ؟ كيف يعمل ؟ ماذا يريد ؟

وكانت الريبة مصاحبة له ولتسميات كتائبه والعبء الهائل على الأهالي لحمايته في بداية الانشقاقات... كل هذا جعل منه مجرد تسمية غامضة في فضاء محتشد بالتسميات.

لكن الحراك السلمي أو ثوار السلمية أصيبوا بالاحباط نظرا لكون بعضهم أغرار في العمل السياسي وبعضهم الآخر لم يعش بشكل مباشر تحت هول القصف والرعب الذي تعرض له ثوار التسليح.

استجمعوا هؤلاء قواهم وانخرطوا بجدية أكبر في إضراب الكرامة وأيام الحرية و تجاوب الشارع الثائر معهم بكل اقتناع على أمل أن تحصل معجزة ما. كأن يعطس الجسد السوري فجأة مخرجا هذا البلغم المقرف من خياشيمه.

ولكن نظاما مثل النظام السوري متجذرا بالصلف والعنف زاد من القتل المنظم وحافظ بشكل ممنهج على عداد الشهداء اليومي. منتقلا من عمليات قتل و قمع إلى أخرى، مزيدا في الاحتقان و المرارة، و موجها حملة شعواء لقتل واعتقال ونفي القيادات الواعية في النشاط السلمي، و ممارسا أشد الوسائل خبثا وتروبعا على كل الشخصيات العلمانية والمدنية و الدينية والقيادات الشبابية من الأقليات و الطوائف لتلبيس الثورة الثوب القديم الموضوع في خزانة الأسد الأول منذ الثمانينات. يوم كان التخويف من الأخوان المسلمين وصفة ناجعة لردع وجود أي محيط حيوي للتغيير.

إحساس المهانة الذي كان و مازال النظام يشعر به حاول تعويضه رأس النظام بابتكار بطولة خلبية في إلقاء خطب تضاف إلى إرشيفه الوضاء بالتفاهة وهروبه الكركوزي بين أشجار مكتبة الأسد.

وانتقل بعدها إلى استخدام ما يحب الطاغة استعماله.... العبارة الشهيرة "سنضرب بيد من حديد " .... وهنا نسجل بشرى تاريخية تقول : إن كل طاغية استخدم هذا المصطلح انتهى إلى أعماق مزبلة التاريخ مهزوما أو هاربا مغمورا بالعقب الحديدية.

## السلمية أو الحربية؟

تجسد الصراع على عنوان هذه الجمعة بمحاولة استبسالية من شباب العمل المدني السلمي لأخذه إلى دولة مدنية..... و بمجموعة كبيرة تريد أي عنوان عسكري لدرء القتل اليومي.

و لنكن موضوعيين.. لقد فشل الحراك السلمي بتحريك دمشق وحلب و باقي المدن الكبيرة التي لها حضور معنوي مثل طرطوس، السويداء، الرقة والقامشلي كما ينبغي وفشل نوعا ما بزحزحة كتلة الطوائف الواقفة في الوسط الضيق. ولكنه استطاع اجتراح معجزات تنظيمية لشباب كانت حتى الامس القريب علاقتهم بالسياسة لا تتعدى معرفة أسماء تيارات وأحزاب لبنان.

أستطاع هؤلاء الشباب طوال فترة الحراك التصدي لرواية النظام الطائفية وتفتيتها وتفنيدها مما شجّع الكثير من الأفراد و الكثير من الطوائف والاقليات الانتماء للثورة قلبا وعملا ودعما ومساندة.

لقد تجلى الاحباط إلى ما يشبه الانقسام الحاد في الرأي بين الثائرين في التسمية الأخيرة للتصويت حول جمعة الدفاع عن النفس أو جمعة الدولة المدنية.... و عملت جرائم النظام المتتالية على إذكاء الانقسام هذا و زيادة حدة التوتر بين الجميع

وهنا نسجل ملاحظتين:

الأولى: إنه لا اختلاف جوهري على الهدف والتسميتين.... ولكن الخلاف على التوقيت... فشباب السلمية أنجزوا خلال الأسابيع الماضية عملا رائعا يستحق التقدير و دفعوا الثورة إلى مراحل لم تكن لتصلها دون جهودهم

الثانية: شباب التسليح أقرب إلى أرض الأماكن الموجوعة.... هم يعرفون ما يحشده النظام وأنه في طور فقدان السيطرة قد جهّز ورقته الأخيرة " الضرب بيد من حديد " وحشد قواته لعملية الحسم. وهؤلاء ما يهمهم اليوم هو اللحظة الراهنة

وما يهم شباب السلمية أكثر هو اللحظة القادمة لما ما بعد النظام و بناء الدولة العادلة و المجتمع الأقوى و الحفاظ على بنيان الدولة السورية الواحدة مع حقن دماء السوريين. يعني الاختلاف حول الأولويات وليس في الجوهر.

شباب السلمية كانت رؤيتهم أن ما يحدث ربما يضر مستقبل الحراك و مستقبل الوطن و يعطي مبررا للنظام لكي يبطش أكثر بأبناء هذا الشعب و يرفع فاتورة التغيير من شهداء هذا الوطن

و بدا الانقسام حادا و بدأ التنابز بين الجميع و لو كانوا كلهم على قلب واحد و همّ واحد

ونعتقد أن ما حصل سيكون له تاثير إيجابي لاحقا على الوطن ككل وإن كان الآن يوحي بأن التصلب والتطرف بدأ يدخل إلى لغة الناشطين. وهي عوارض مؤقتة وصحية بمرحلة ما قبل النضج الاجتماعي الجمعي.

لنختصر ونقول نحن اليوم أمام مشهد يقول التالي:

النظام لديه مقياس حرارة وضعه في مؤخرة ما يسمى المجتمع الدولي و يعرف أن الحرارة لم تصل بعد إلى درجة ان يقوم هذا المجتمع الدولي برميه و لفظه . لذلك يطمئن، وخلال الفترة الماضية نجح نتيجة العنف والقمع وآلة الإعلام الجهنمية بخلق ما يريده نوعا ما دون أن يلتفت إلى أن اللعب بالنار و العنف الذي يستخدمه و يشجّع عليه لابد و أن يرتد و يخرج عن قدراته للسيطرة عليه

كان يتوقع مجموعات محددة من المنشقين وبعض المدنيين المسلحين في أماكن محددة، ولأن هذا النوع من السحر الأسود ينقلب دائما على الساحر. فكانت النتيجة أن أوجد له حقيقة مجموعات ليست مسلحة فحسب، بل مصرة ومؤمنة وشغوفة لقتاله.

وهنا عقد المقارنة مع الأخوان المسلمين والطليعة المقاتلة التي حاربت بشراسة غير موفق بالمرة. لأنها كانت تحارب دون بوصلة ودون غطاء شعبي يتسع يوما بعد يوم كما يحدث اليوم

الناس في الأماكن المسحوقة تتعرض منذ أشهر لأكبر عمليات وحملات إذلال ووأد منظم.... هؤلاء تحت وطأة غريزة الحياة والموت اليومي.... و الايمان الكامل بعدالة ما يسعون إليه و يطلبوه.... فماذا نتوقع منهم؟ طبيعي أن يخرج الشباب للدفاع عن النفس، وايضا لتحقيق نوع من الانتقام وخلق رعب مواز

الناس المُنتفضة تفهم مسألتين (السلاح يحمي و يهدد.) وهذه المُسلّمة اليوم لم تبتكر من فراغ بل وصلت لأي متظاهر ثائر سلمي كان أو نصف سلمي في المدن المكلومة بعد أن ذاق أهوال العنف.

لذلك يصبح إسداء النصح والطلب منهم التخلي عن هاتين الوسيلتين الأخيرتين. بمثابة انتحار .

نعم.... إن طلب أن يبقى الثائر مسالما وهو يرجم بكل أنواع العنف و القتل. تمني لا يعادله سوى حلب النجوم.

اليوم يسبح الثوار في بحر من الدم، عدتهم عبوة أكسجين ممتلئة بالأمل المنبثق من الالم، وفي يدهم "كاميرا" لتوثيق الموت... ودَربة لرد الأذى اسمها الجيش السوري الحر.

مطالبة ثوار السلمية هؤلاء بنزع أي من هذه الأدوات هو مثل محاولة إقناع الغوّاص بالذهاب لمعانقة التماسيح وأسماك القرش بأنه ذاهب لمداعبة الدلافين.

فما هو المطلوب إذاً؟:

إسباغ الشرعية على الدفاع عن النفس ريثما يرتب الجيش الحر أموره.

فكل المؤشرات تؤكد إن الناس الموجوعة وجدت بصيصا في هؤلاء الشباب الذين تسلحوا أو أنشقوا. فهم عامل الأمن والأمان والأمل الوحيد لهم.

و ليكن إيماننا بأخلاقيات هؤلاء الشباب وضمائرهم الحية ونشاطهم في خدمة أهلهم وحماية الثورة ليس من القمع فحسب بل من شلل "الزعران" واللصوص المتوقع أن تجد بيئة لها وسط هذه الفوضى.

ومطلوب من شباب التنسيقيات التعاون مع الجيش الحر و مساعدته لتقديم صورة نزيهة عن نفسه، وترتب حضوره الإعلامي ودعم تسميات وطنية جامعة في كتائبه، و عزل اللصوص والمرتزقة ممن يحملون السلاح مستغلين الفراغ الأمني ومنعهم من استخدام اسمه.

كما يجب أن ينتبه الجميع من مخاطر حمل السلاح بشكل فردي فوضوي غير منظم تحت قيادة صحيحة... فلهذا عواقبه المدمرة للبلاد و للثورة.... و هنا تكمن المسؤولية المشتركة بين الشباب المتحمس و الجيش الحر

إن الشباب السلمي الثائر هو العمود الفقري لهذا الحراك.... و سيبقى الخزان الثوري الأكبر.... فهو من تصدح حناجره في المظاهرات.... و هو من يقدم الدعم للثورة و الاغاثة للمنكوبين.... و قد قدّم هؤلاء الشباب الكثير الكثير من الشهداء....

و لعل التذكير واجب بأن مهمة الجيش الحر الأولى كانت حماية المدنيين و الثائرين السلميين.... و لن ينتهي دور الثائر السلمي ولا يمكن لأحد أن يهمّش دوره و يقزّم نضاله و تضحياته

الجيش الحر يجب ان يتماثل مع أخلاقيات الثورة ويتماسك بسرعة، ويعمل على إثبات جدارته. يمكن هنا ان نعتمد ما صرح به مالك الأشتر قائد كتيبة الأشتر في الجيش الحر للناشطة السلمية الحقوقية رزان زيتونية. ونشر في جريدة الحياة كنقطة إلتقاء بين فكرين كل واحدة منها تكمل الأخرى "السلمية والتسليح"

مالك الأشتر متظاهر سلمي لم يغادر البلد ووجد نفسه مع أخوته وعائلته المكلومة على قائمة المطلوبين أحياء أو أموات فهنا السلاح ليس موضوعا للنقاش بل الحل الوحيد للكثيرين من أمثاله. وبدل من إقامة المأتم حول "لبينة سوريا " أي تحويل سوريا إلى ليبيا" نجد من يحمل السلاح من امثال الأشتر يستحقون الدعم والحماية والتغطية

أصرّ الأشتر في مقابلته على وضع الخطوط العريضة لمبادىء الجيش الحر حين رد على سؤال رزان التالي:

باعتبارك كنت في يوم ما متظاهراً ثم تحولت إلى مقاتل، ماذا تقول لدعاة السلمية وماذا تقول لدعاة العسكرة؟

بأجابته التي ننقلها كاملة وحرفية:

(أقول لدعاة السلمية وللمتظاهرين استمروا في سلميتكم ما دام هناك أمل بالحل السلمي، لأن إراقة الدماء ليست بالأمر السهل، ولو كان الحل باستمرار السلمية حتى لو طال الوقت أكثر، فهذا أفضل بكثير. وأقول لدعاة العسكرة، إياكم والطائفية، لأن النظام يلعب على هذا الوتر، وأذكرهم بألا يظلموا أحداً أياً كان دينه أو مذهبه، وألا يوجه سلاحهم إلى أي شخص إلا إذا دعت الحاجة لدفع الظلم عن الناس، ولا فرق بين مسلم ومسيحي وعلوي وكردي نحن سوريون، وقضيتنا واحدة. وهذا ليس كلاماً للدعاية، هذا ما يجب أن يكون إذا أردنا الوصول فعلاً الى أهداف ثورتنا).

## خلاصة:

من هنا يمكن أن نجد الارضية المشتركة للعمل. فالثورة باتت تحتاج إلى رزان وما تمثله ومالك وما يمثله متحدين معا لتستطيع المضي إلى أهدافها. لا يمكن أن نسمح للتخندق و التمترس أن يصل إلى الثائرين ليفتت عضدهم و يشق صفوفهم

أخيراً.. ربما نستفيد من عبر التاريخ ورجاله ونسوق هنا أربع مقولات لختام هذه القراءة ونعتذر عن الإطالة.

إن الثورة هي صراع بين الماضي والمستقبل ، والطريق الى انجازها ليس مفروشا بالورود

• كاسترو

لا يمكن القيام بالثورة للوصول إلى الديمقراطية عليك أن تتحلى بالديمقراطية لتحقيق الثورة

• جيلبير تشرتيرتون

لن يكون بامكانك القيام بثورتك وأنت ترتدي القفازات البيضاء

• لينين

كنا نعتقد أن الثورات هي المسببة للتغيير والحقيقة هي عكس ذلك فان ما يمهد الطريق للثورات هو التغيير.

• إيريك هوفر

# جلالة الملك فيصل الأول 1883 - 1933

■ ياسر مرزوق

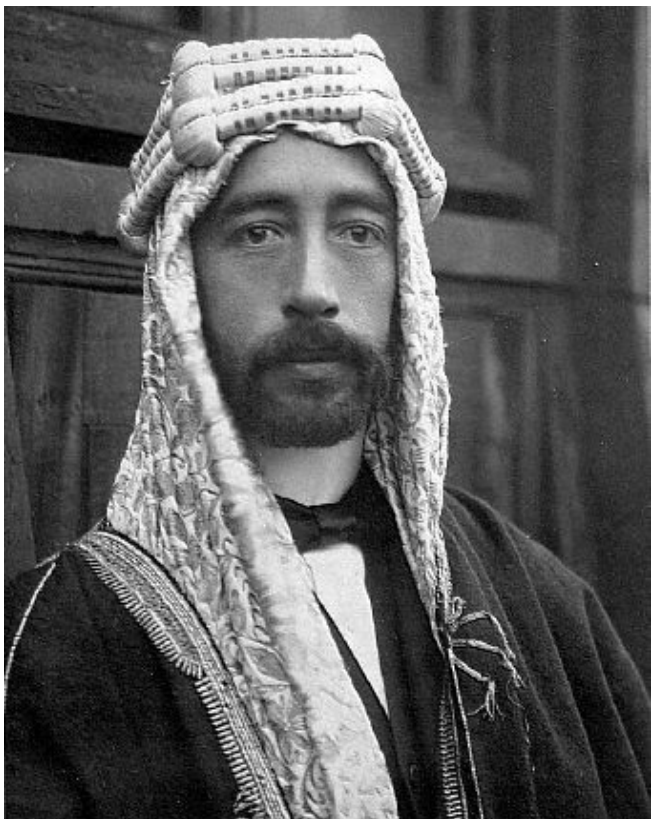

في الأعداد الثلاثة السابقة قمنا بعرض تراجم لكل من " فوزي باشا العظم، وعبد الرحمن باشا اليوسف ويوسف العظمة " وقد كان وبحكم المرحلة التاريخية جلالة الملك فيصل الأول القاسم المشترك بين هذه التراجم، لذا سنعرض اليوم لسيرة ملك سوريا الأوحد، وتجدر الإشارة إلى أن الدعوات لملكية في سوريا لم تقف عند حكم العرش الهاشمي، فمع الاستقلال الأول عن السلطنة العثمانية، وانتهاء العهد الفيصلي في سوريا، ظهرت عدة دعوات لنظام ملكي في البلاد كان أبرزها دعوة الأمير سعيد الجزائري حفيد الأمير عبد القادر الجزائري الذي كان الحاكم الفعلي للداخل السوري خلال إقامته في دمشق، ودعوة الداماد "أحمد نامي بيك" زوج الأميرة "عائشة" ابنة السلطان "عبد الحميد الثاني" والذي تولى رئاسة الدولة والحكومة في سوريا عام 1926 لمدة شهر تقريبا، ودعوات من آل المؤيد العظم الفرع الثاني لآل العظم حكام سوريا التقليديين، ومن الشريف سعيد الجزائري ابن عم الشريف حسين بن علي لكن التنوع والمستوى الثقافي والسياسي الرفيع للنخب السورية بدايات القرن الماضي قطع الطريق على هذه الدعوات، على الرغم من كون النظام الملكي النظام الأعم عالميا وفي محيطه في تلك الفترة، وإذا جاز لنا اعتبار النظام الجمهوري أكثر تطورا من النظم الملكية التقليدية، تبين لنا بأن السوريين كانوا روادا بالنسبة لمحيطهم، وبقي السوريون مخلصين لجمهوريتهم، ولم يسجل التاريخ السوري الحديث ملكا باستثناء الملك فيصل.

ولد فيصل بن الشريف حسين بن الشريف علي الهاشمي عام 1883 في مدينة الطائف التابعة لإمارة مكة إحدى إمارات ولاية الحجاز التابعة للدولة العثمانية، وكان الابن الثالث لشريف مكة الشريف حسين بن الشريف علي بن الشريف محمد بن عبد المعين بن عون الهاشمي، أتم دراسته الأولى في قرية رحاب عند جده، ثم أكمل تعليمه في الآستانة، عام 1913 اختير ممثلا عن جدة في البرلمان العثماني.

عشية الإعدامات التي نفذها جمال السفاح بأحرار سوريا توجه فيصل للتوسط لدى جمال باشا ليوقف تنفيذ هذه الأحكام إلا أنه باء بالفشل وعاد إلى مكة مقتنعا بضرورة التخلص من الحكم العثماني.

كانت ثورة الشريف حسين ترمي إلى استقلال العرب عن الدولة العثمانية استقلالا تاما، وإنشاء مملكة عربية يكون الشريف حسين ملكا عليها تضم الحجاز والعراق وسورية والأردن وتكون عاصمة هذه المملكة مكة المكرمة باستثناء فلسطين.، أما هدف بريطانيا فكان تقويض أركان الدولة العثمانية، وإقامة الدولة اليهودية على أرض فلسطين، ولتحقيق هذا الهدف استغلت النزعة القومية فشجعت على إنشاء جمعية الاتحاد والترقي في تركيا والتي تنادي بتفوق الأتراك وفصلهم عن العالم العربي. وأقام الزعيم الإنكليزي مكماهون مراسلاته الشهيرة مع الشريف حسين والتي انتهت عام 1915 باتفاقية مع الشريف حسين والتي كانت بتدبير من ضابط المخابرات الإنكليزي لورانس بعد وعود كثيرة قدمها الإنكليز بإنشاء المملكة العربية ودعم هذه المملكة سياسيا وعسكريا واقتصاديا. وعلى إثر ذلك أعلن الشريف حسين ثورته وانضمت إليه القبائل العربية كما حاز على تأييد المشرق العربي بكامله، بحكم نسبه النبوي وضيق العرب من بطش العثمانيين وسياساتهم الرامية إلى تتريك المنطقة وطمس الهوية العربية.

في عام 1916 كانت بريطانيا وفرنسا اتفقتا في معاهدة سرية هي معاهدة سايكس بيكو على تقسيم أملاك الدولة العثمانية فيما بينهما، وفي عام 1917 كان وعد بلفور وهو الوعد البريطاني ببناء وطن قومي لليهود في فلسطين، وفي عام 1918 بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها، بدأت بريطانيا وفرنسا بتطبيق اتفاقية سايكس بيكو، وتقاسموا البلاد التي وعدوا بها الشريف حسين، فثار عليهم فاعتقلوه ونفوه إلى قبرص وجعلوا من ابنه فيصل الأول حاكما على سورية والتي كان قد دخلها مع القوات البريطانية في العام نفسه وسط ترحيب السوريين، وابنه الثاني عبد الله بن الحسين حاكما على الأردن.

قد يسجل التاريخ بأن الملك فيصل عين حاكما لسوريا من قبل الاحتلال البريطاني، إلا أن التاريخ يسجل لفيصل أيضا أنه اتخذ الخيار الديمقراطي في حكم البلاد، ونادى بملكية دستورية تشبه إلى حد بعيد النظام الملكي في بريطانيا، وبذل من ماله الخاص لتأسيس نواة للاقتصاد السوري، وليرفع عن البلاد الأزمة الاقتصادية التي وصلت حد المجاعة، تذخر كتب التاريخ بمآثر ملك سوريا، إلا أن عمق تأثير الملك فيصل على السوريين يظهر فيما تناقلته العامة بحيث أضحى دخول الملك سوريا جزءاً من الموروث الشعبي الدمشقي، ولنا أن نذكر كتاب الباحثة "سهام ترجمان" "يا مال الشام" وكتاب "الأمثال الشامية "لنزار أباظة" وكتاب "حكايا دمشقية" للدكتور" كاظم الداغستاني" لنتلمس أثر الملك على السوريين.

بدأ فيصل عهده في سوريا بالاجتماع مع الوجهاء والأشراف والزعامات الدينية والمحلية على اختلاف اتجاهاتهم، حتى من ناصبه العداء وحاربه زمن العثمانيين. وعشية دخول الملك سوريا عقد اجتماع بمثابة مجلس شورى مصغر في مدينة دمشق برئاسة الأمير عبد القادر الجزائري "الحفيد "والشيخ طاهر الجزائري وبديع المؤيد العظم وفارس بيك الخوري وآخرون وسموا الأمير سعيد الجزائري رئيساً للحكومة ورفعوا علم الثورة العربية على دار البلدية، ومع دخول الملك تشكلت حكومة برئاسة علي رضا الركابي.

كان الملك فيصل يؤكد في كل مناسبة على أن العرب متساوون في الحقوق والواجبات حيث قال في إحدى خطبه في مدينة حلب بتاريخ 11 تشرين الثاني عام 1918: «إن العرب هم عرب قبل موسى وعيسى ومحمد».

وقال في مناسبة أخرى: «بالرغم من أني من أعرق الأسر الإسلامية، فقد حملت السلاح ضد الخلافة، وإلى جانب الحلفاء من أجل تحقيق الوحدة».

هيأ وجود يصل في سوريا وانفتاحه على كافة التيارات لظهور الأحزاب السياسية وكشف النقاب عن الأحزاب التي كانت تعمل بسرية. فكانت أولى التجمعات السياسية هي جمعية العربية الفتاة ثم حزب الاستقلال الذي انبثق عن الجمعية، وبعد ذلك أعلن عن تأسيس النادي العربي الذي كان رضا الركابي أحد مؤسسيه. وحزب العهد الذي تم تأسيسه قبل الحرب حيث انضم أعضاؤه فيما بعد إلى قوات الثورة العربية الكبرى ثم أصبح فيما بعد محصورا بالجيش تقريبا. بالإضافة إلى حزب الاتحاد السوري، الذي كان تأسيسه في مصر من قبل عدد من السوريين المقيمين هناك، ثم أسس فرعاً له بدمشق بقيادة عبد الرحمن الشهبندر.

عام 1919 توجه فيصل إلى باريس لشرح القضية العربية، لكن الدول الاستعمارية كانت اتخذت قرارها مسبقا ولم يرجع إلا بوعود ضبابية.

بتاريخ 6 آذار 1920 عُقدت في النادي العربي بدمشق جلسة حضرها الملك فيصل وأركان حكومته حيث ألقى هناك فيصل بيانا تفصيلياً للقضية العربية، وتحدث فيها عن حق العرب بالاستقلال، وطلب من المؤتمرين تقرير شكل الدولة ووضع الدستور. دام اجتماع ذلك المؤتمر يومين كاملين بإدارة هاشم الأتاسي حيث اتخذ في النهاية قرارا. جماعيا يلخص فيه آراء كافة الأحزاب الوطنية. حيث نص القرار على استقلال سورية الطبيعية بما فيها فلسطين ورفض الادعاء الصهيوني بالوطن القومي، وإعطاء ضمانات لنظام خاص في لبنان.

كما تقرر بالإجماع تقديم العرش للأمير فيصل على أن تُعلن البيعة يوم 8 آذار في دار البلدية. ثم جرت احتفالات المبايعة في دار البلدية وسط حماس كبير. رافقته أصوات دوي المدافع أثناء رفع العلم السوري. وكان العلم السوري هو العلم العربي نفسه مضافا إليه نجمة بيضاء في المثلث الأحمر. " حتى تاريخه كان فيصل يعتبر حاكما لسوريا بتفويض من الجيش البريطاني ".

في الثامن من آذار يوم البيعة تعهد الملك باحترام القواعد السبعة التي كانت " طاعة الله، احترام كافة الأديان، الحكم شورى، المساواة في الحقوق، توطيد الأمن، تعميم المعارف (التربية والتعليم)، إسناد المناصب والوظائف للأكفاء "

وبعد ذلك تشكلت لجنة لوضع الدستور برئاسة هاشم الأتاسي حيث نص ذلك الدستور على أن سورية ملكية دستورية وراثية في الأسرة الهاشمية، على أن يكون الملك محترما وغير مسؤول، وتُدار البلاد على أساس اللامركزية، ومع وجود مجلس نواب مُنتخب بالاقتراع السري. وقرار الاستقلال هذا لم يتناسب مع طموحات بريطانيا وفرنسا باقتسام غنائم الحرب حسب الاتفاق المعقود بينهما، لذلك قامت الدولتان بالعديد من المحاولات لإثناء فيصل عن قرار الاستقلال ثم لوحت له بالتهديد العسكري. " يشعر السوريون بالحنين لدستور الملك فيصل الذي نص في مادته الأولى على أن الحكومة السورية مدنية نيابية "، بعد ذلك عكفت حكومة الركابي على إعداد العدة للمقاومة، فأدخلت التجنيد الإجباري وباشرت بإنشاء جيش نظامي.

مع إعلان الاستقلال وإنشاء المملكة السورية ورفض المؤتمر السوري للإملاءات الفرنسية وتأكيده على استقلال سوريا رافضا كل أشكال الوصاية، وجه غورو إنذاره المشؤوم للسوريين" راجع ترجمة الشهيد يوسف العظمة في العدد السابق" ودخل الفرنسيون سوريا وخرج فيصل إلى درعا ومنها توجه إلى أوروبا طاويا صفحة الملكية في سوريا، لابد من الإشارة إلى شخصية تناستها كتب التاريخ وهي "جلالة الملكة حزيمة بنت ناصر" زوجة الملك فيصل والتي كانت تخرج للعمل العام حاسرة الرأس متقدمة ملكات محيطها في حينه " إيران، تركيا، مصر، المغرب العربي" ممهدة الطريق أمام السيدات الأول في دمشق للعب دور هام اجتماعيا وسياسيا.

لم تطل إقامة فيصل في أوروبا، بل استفاد من الدعم البريطاني، ليعود إلى مملكة أبيه المفترضة، فبويع ملكا على العراق عام 1930 وبعد مبايعته عقد معاهدة مع بريطانيا، سميت بمعاهدة 1930 أقرت بموجبها بريطانيا استقلال العراق عن التاج البريطاني وإنهاء حالة الانتداب، وضمنت الاتفاقية أيضا بعض التسهيلات لبريطانيا في مجال تسهيل مرور القوات البريطانية في أوقات العمليات الحربية، والتعاون في المجالات الاقتصادية، وفي عام 1930 أيضا عقد معاهدة تعاون مع المملكة المتوكلية اليمنية على عهد إمام اليمن الإمام يحيى حميد الدين، اعترفت بموجبه المملكتان ببعضهما، وضمنت إقامة دورات تدريبية للجيش اليمني يقيمها الجيش العراقي.

توفي فيصل الأول في 8 سبتمبر من عام 1933م، أثر أزمة قلبية ألمت به عندما كان موجودا في بيرن بسويسرا، وقيل بأن للممرضة التي كانت تشرف على علاجه علاقة بموته حيث شيع بأنها قد سمته بدس السم في الإبرة التي أوصى الطبيب بها. وتولى من بعده ولده الأكبر غازي حكم العراق وقد قال قبل وفاته (أنا مرتاح. قمت بواجبي. خدمت الأمة بكل قواي ليسير الشعب بعدي بقوة واتحاد).

# إنذار غورو ومعركة ميسلون تموز 1920

■ حنين اليوسف

إن معركة ميسلون التي وقعت رداً على إنذار غورو وتجرؤ الفرنسيين دخول دمشق على أجساد شهداء سوريا الأبطال كانت معركة خالدة امتزج فيها تراب الوطن بدم الشهداء الذين استبسلوا في الدفاع عن أرضهم.

## إنذار غورو 14 تموز 1920

في 14 تموز 1920 أرسل الجنرال غورو المندوب السامي الفرنسي في بيروت إلى الملك فيصل رسالة تتضمن إنذاراً مدته أربعة أيام يبدأ من منتصف ليلة 15 تموز وينتهي في منتصف ليلة 19 تموز، وكان نص الإنذار يتضمن ما يلي:

- الاعتراف بالانتداب الفرنسي بلا قيد.
- إلغاء التجنيد الإجباري وتخفيض عدد أفراد الجيش السوري.
- القبول بالنظام النقدي الذي فرضته فرنسا بدل العملات الذهبية.
- تسليم خط حديد رياق – حلب للقوات الفرنسية والسماح لها باحتلال حلب.
- معاقبة الأشخاص المعادين لفرنسا.

بعد دراسة الملك فيصل لإمكانات سوريا العسكرية ومقارنتها بقوات فرنسا قرر قبول الإنذار وبعث بتاريخ 18 تموز الكولونيل الفرنسي "تولا" ومعه رسالة إلى الجنرال غورو تتضمن موافقته على هذا الإنذار.

ولما علم الشعب أن الحكومة السورية وافقت على الإنذار قامت مظاهرات كبيرة وعم الهياج في البلاد ودعا المؤتمر السوري لعقد جلسة طارئة في 18 تموز 1920 أعلن فيها رفضه للإنذار. إلا أن الملك فيصل سارع بتنفيذ الإنذار فعطل المؤتمر السوري لمدة شهرين وسرح الجيش، مما أدى إلى ازدياد الغضب والاضطراب، وقام المتظاهرون بمهاجمة قلعة دمشق للحصول على الأسلحة ولإطلاق سراح السجناء وحاول آخرون الوصول إلى البلاط الملكي لكن الشرطة فرقتهم وأغلقت دمشق.

أرسل غورو إلى الملك فيصل إنذاراً ثانياً يطلب فيه إغلاق مراكز جديدة ليتم احتلالها مباشرة، كما طلب قبول بعثة فرنسية في دمشق لمراقبة تنفيذ شروط الإنذار الأول وللإشراف على الشؤون العسكرية والمالية والاقتصادية والإدارية. إلا أن الملك فيصل لم يقبل بهذه الشروط التعجيزية وأرسل برقية إلى الجنرال غورو في 21 تموز 1920 تنص على ما يلي: "على الرغم من المشكلات التي توقعتها مقدماً فقد قبلت كتابة ورسمياً كل ما طلبتموه في إنذاركم، وسرحت الجيش طبقاً لأحكامه، وألغيت الخدمة العسكرية، مما سبب استياء جانب من أبناء شعبي كما يشهد بذلك قناصل الدول في دمشق، ولقد دهشت عندما علمت أن جيوشكم أخذت تزحف إلى دمشق رغم قبولي جميع الشروط الواردة في الإنذار بلا قيد ولا شرط، مما يعد انتهاكاً للعهود المقطوعة وخرقاً للحقوق الخاصة ولروح الأدب العام، فكل تبعة تنجم عن هذا العمل الغريب تقع على عاتق مسببها. وأطلب منكم في الختام اتخاذ التدابير اللازمة لإيقاف جيوشكم عن الزحف بسرعة وسحب وحداتها وآلياتها من الأماكن التي وصلت إليها".

كما بعث الملك ببرقية إلى دول الحلفاء عبر القنصل الإيطالي يحمّل الحكومة الفرنسية مسؤولية عدوانها على سوريا، لكنه لم يتلق أي رد جواباً على برقيته.

اجتمع الملك فيصل مع أعيان دمشق وأبلغهم قراره بالدفاع عن الوطن، فانطلق الخطباء إلى الأحياء يحثون الشعب للتطوع والدفاع عن أرض الوطن، فتراكض أبناء سوريا إلى ميسلون ملبين نداء الواجب حتى الرمق الأخير.

قام الجنرال غورو الذي عقد العزم على احتلال سوريا مهما كلفه الأمر بتوجيه جيوشه إلى سوريا عبر ثلاثة محاور: الأول عن طريق سكة حديد رياق – حمص وحماة والذي اصطدم بالثوار الذين اقتلعوا سكة الحديد فهوى القطار وانفجر بما يحمله من رجال وسلاح، واشتبك الثوار مع من تبقى من الفرنسيين وتغلبوا عليهم. أما المحور الثاني فجاء عن طريق بيروت – دمشق ووصل إلى ميسلون. وتوجه المحور الثالث من جسر الشغور باتجاه حلب وتمكنوا من دخولها.

## معركة ميسلون 24 تموز 1920

كان عدد القوات السورية لا يزيد عن ثلاثة آلاف مجاهد معظمهم بلا سلاح أو تدريب بالإضافة إلى رجال من الجيش السوري ومعهم البنادق وبطاريتي مدفعية وبطارية رشاشات. في وقت كان فيه الجيش الفرنسي يتألف من تسعة آلاف جندي في كتيبة مشاة ولواء سنغالي ورماة وخيالة ورشاشات ودبابات وكتيبة مدفعية ثقيلة وأربعة أسراب من الطائرات الحربية.

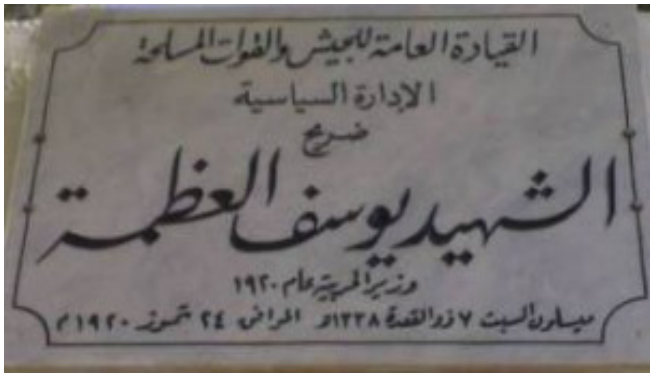


استمرت المعركة بضع ساعات، قصفت خلالها الطائرات الفرنسية المجاهدين السوريين بثلاثة أطنان من القنابل، وردت عليها المدفعية السورية بقيادة وزير الحربية البطل يوسف العظمة وأسقطت طائرة حربية فرنسية. جرت معركة حامية استشهد خلالها أكثر من ثمانمائة شهيد دافعوا عن أرضهم حتى الرمق الأخير تلبية لنداء يوسف العظمة "يجب أن نموت شرفاء" والذي استشهد معهم بوابل رشاش فرنسي أرداه قتيلاً. وعندما انتشر خبر استشهاده ضعفت الروح المعنوية لدى المجاهدين مما سهل تلغب الفرنسيين عليهم، وتمكنت القوات الفرنسية من الدخول إلى دمشق فوق جثث الشهداء بعد ظهر يوم 24 تموز 1920.

انسحب الملك فيصل إلى الكسوة وأصدر بتاريخ 26 تموز 1920 مرسوماً بتشكيل وزارة جديدة معظم أعضائها معروفون بموالاتهم لفرنسا، وذلك رغبة منه بإظهار حسن نيته اتجاه الجنرال غورو. تألفت هذه الوزارة من: علاء الدين الدروبي رئيساً للوزارة، عبد الرحمن اليوسف رئيساً لمجلس الشورى، عطا الأيوبي وزيراً للداخلية، بديع المؤيد وزيراً للمعارف، جميل الألشي وزيراً للدفاع، فارس الخوري وزيراً للمالية، يوسف الحكيم وزيراً للزراعة، جلال الدين زهدي وزيراً للعدل. رغم مبادرة الملك فيصل إلا أن الفرنسيين لم يستجيبوا له بل أرسلوا كتاباً نص على:

- إن الحوادث الدموية لا تسمح ببقاء الملك فيصل في سوريا، أما الحكومة السورية تحت الانتداب الفرنسي ستجد منه المعونة والاحترام.
- إعطاء مائتي ألف دينار كتعويض لكل عائلة سورية ذُكبت بقتل أحد أفرادها أو تدمير بيتها.
- محاكمة الثوار.
- منع التظاهرات ونزع السلاح من الأهالي.
- عرض قرارات الحكومة على القيادة بواسطة رئيس البعثة الفرنسية.

غادر بعدها الملك فيصل الكسوة باتجاه درعا حيث استقبله سكانها أحسن استقبال مؤكدين له استعدادهم للدفاع عن أرضهم مهما كان الثمن، مما أغاظ الفرنسيين فأرسلوا إلى الملك ليغادر البلاد إلى حيفا أو عمّان، كما بعثوا بلاغاً لأهالي درعا ليطلبوا من ملكهم مغادرة مدينتهم خلال عشر ساعات قبل أن يقوموا بمهاجمتهم.

بدأت الطائرات الفرنسية بالتحليق فوق درعا استعداداً لتنفيذ وعيدها، فقرر الملك فيصل المغادرة إلى حيفا في 1 آب 1920 وكان معه السادة إحسان الجابري ونوري سعيد وساطع الحصري وتحسين قدري، ثم توجه الملك من هناك إلى أوروبا.

وختاماً يجدر لفت النظر إلى أن احتلال القوات الفرنسية لسوريا وما رافقه من عمليات عسكرية جرى قبل عامين من مصادقة مجلس الأمم على قرار وضع سوريا ولبنان تحت سلطة الانتداب (أي في 24 تموز 1922 على أن يصبح معمولاً به في أيلول 1923) مما يعدّ عملاً غير مشروع في نظر القانون الدولي.

كان يوم 24 تموز 1920 بحق ملحمة من ملاحم البطولة العربية في سوريا ورمزاً لتضحية السوريين في سبيل وطنهم، ورغم علمهم منذ البداية بأن معركتهم مع الفرنسيين غير متكافئة إلا أنهم قرروا ألا يستسلموا أو يسمحوا لأعدائهم بدخول أرضهم إلا فوق جثثهم الطاهرة التي قدموها عربون وفاء وفداء للوطن الغالي.

الجيش العربي في معركة ميسلون

الجيش الفرنسي

## فيصل قاسم

لا أدري لماذا يحاول الطواغيت العرب أن يحكموا البشر إذا كانوا يريدونهم قطيعاً من الأذلاء. أليس من الأفضل لهم أن يحكموا الغنم فيرتاحون ويريحون ؟

## فرج بيرقدار

أنا أحترم الحبّ الحر وأكره العهر بكل معانيه. أقول ذلك وفي رأسي طنين فظيع من سياسة روسيا ووزير خارجيتها.

## عبد الحميد برو

سوريا كانت وعليها السلام.....

## حصة العساف

لا يملأ عيني (إلا رجل) فيه من الثقافة ما يحرك ثورة.. وفيه من الحب ما يقود شعباً" وبلاداً".. !!!

## خلود زغير

عندما دخلت فدوى سليمان ساحة الشاتيليه في باريس اليوم، هذه الساحة التي نعتصم بها منذ تموز الماضي، وبدأت تهتف.. شعرت أنه كان عليها أن تأتي لنعود نحن للثورة.. نحن اللذين شوهتنا الأخبار القادمة من الفيسبوك وصور المجازر وخطابات المعارضة التجيشية وجعلتنا أشد جهادية من الجهاديين وأكثر اقصائية من النظام فبدأت شعاراتنا في هذه الساحة منذ فترة تتغير وتتجيش وكاد شعار واحد واحد الشعب السوري واحد لا يسمع.. اليوم فدوى أعادته ورددته الجميع.. اليوم تكلمت عن الدولة المدنية والديمقراطية والتعددية التي لم يعد هناك حضور لها في الهتافات.. اليوم فدوى لم تهتف لمدينة دون أخرى.. بل "يا سوريا.. السوري معاكي للموت» ناشدت الساحل السوري وقالت لهم انزلوا للشارع وقولوا نحن مع بشار ونريده هذا رأيكم.. لكن قولوا أيضا نحن ضد القتل لأن «دم السوري على السوري حرام واللي بيقتل شعبو خاين».. مع فدوى اليوم عدنا بالثورة لشهورها الأولى.. بحماسها بحميميتها وأملها ونسينا الحقد والطائفية وتعاهدنا معها على الوفاء لتراب سوريا فقط.

ما أردت قوله أن من بالخارج أيضاً يحتاج لنشطاء كفدوى سليمان يعيدون لهم روح الثورة الأولى وألفة ابن البلد.. فقد بدّستنا قسوة الفاجعة.. وأنا أكيدة أنها ستمكن من ايصال صوتها كما كانت بالداخل بل أكثر.. ففي سوريا كانت متخفية بالفترة الأخيرة لذلك يصبح وجودها علني بمكان آخر مسألة ضرورة وحاجة.

## ندى كرامي

الوطن أولا. قضيتنا إنسانية وطنية، من يعتبرها دينية هو ذراع و توأم للنظام شاء أم أبى.

## خولة الحديد

أنا لهلأ ما قدرت أفهم ماهية هل العصابات المسلحة ؟؟ إنه ليش هل العصابات بتكره الكهربا والمي والاتصالات... هلأ كل ما دخلت منطقة هل العصابات بتروع الأهالي وبتقصف لهم بيوتهم وبتنهبهم.. طيب فهمنا ما هنّ عصابات عادي يعني ؟؟ بس إنه الكهربا والمي والاتصالات اللي ممسوكة من الدولة ليش كمان هل العصابات الفذة عم تقطعها !!!..... وكأنه قال عندنا دولة.. يحرق أخت هل العصابات.. العمى ما تركوا شي وما عملوا.. تسقط العصابات المسلحة تسقط تسقط تسقط..

## ليلى العودات

الأقليات هي أقليات الحقوق وليس الأعداد... وهذه الثورة هي ثورة الأقليات، وإذا كان هدفهم أن يتحولوا إلى أكثرية ستخلق بنفس اللحظة أقليات جديدة سترفع رأسها وتطلب الحرية. إذا لم تستطع هذه الثورة أن تحمي كل أبناء الوطن وان تطالب بحقوق الجميع بدون استثناء، ستتحول إلى لعبة تبادل أقليات لا تشبه الحرية التي طلبناها. أخطأ النظام السوري عندما اعتقد أن السيادة هي حق له على الشعب، السيادة الوطنية على أرض سورية ومواردها هي حق الشعب وحده، والنظام مهمته تمثيل الشعب وإدارة مرافقه، مهمة تنفيذية بحتة مرهونة بحسن الأداء وصفة تسقط بعدم الكفاءة... السيادة للشعب السوري وليس عليه... أرجو ألا تقع المعارضة في نفس الالتباس كي لا تنتهي نهاية النظام القريبة.

## رشا عمران

وعلى أساس (السنة) من وين جايين ؟ من المريخ يا سيد لافروف؟ يلي عم تسميهم (سنة) هدول سوريين والأقليات يلي حضرتك خايف عليهن كمان سوريين، والحكم القادم لسوريا رح يكون سوري، بيكفي إهانات للشعب السوري، هاد شعب وأمة وحضارة، هو مجموعات متناحرة مابتعرف تعيش مع بعضها، يا حيف على سلالة الأمهية لما بتدعس على كل المبادئ الاخلاقية والانسانية مشان مصالحها.

## كندا علوش

أي سوري يستخدم خطاب طائفي لا يمثلني.. لن تحمل أي طائفة في سوريا وزر سلوكيات فردية أو جماعية أمهما كانت بشاعتها أو عنفها أو حياديتها..) ما في تار بايت للعلوية ضد السنة.. ولا السنة بدن يلغوا المسيحية أو العلوية أو أو أو.. شاء من شاء وأبى.. وأيا كان الطرف الذي زرع الفتنة الطائفية في البلد.. وقد حصل.. كي لا يأتي من يقول شعبنا واحد ولا يوجد أي نزعات طائفية.. شعبنا كان واحد وللأسف جاء من عبث بهذه الوحدة.. ولن يستمر هذا الحال يجب أن نبقى مؤمنين بذلك.. ويجب أن نحارب هذه الفتنة بكل ما أوتينا من طاقة ووعي ومحبة وإيمان...

## ياسين حاج صالح

"إذا كنت تعاملني ككلب، وتمنعني فوق ذلك من النباح، فينبغي ألا تفاجأ بأن أعز أحلامي هو أن أعضك".

## سعاد جروس

كلما هربت من الملائكة والقديسين في السماء حامت حولي قذيفة رعناء أعادتني إليهم استجدي النجاة لأهلنا على الأرض.. أرض البلاد..

## ميلاد صقر

وكأن الجميع مستمتع بالدم السوري.. لا احد يريد أن ينام دون سماع أخبار شهداء ومعتقلين ونازحين سوريين جدد.. العالم من أقصاه إلى أقصاه.. اخترع كل شي ووصل للقمر وبعد شوي رح يوصلوا للشمس وما عم يعرفوا يوصلوا للمظلومين بسوريا، السياسة عجزت الضغوطات فشلت البترول صار مي والدولار صار ورق وأوروبا صارت علاك وأمريكا ما عاد إلها وزن بهاليام والخليج صار مجرد قناة إعلامية ولم يبقى شيء له تأثيره في هذا النزاع... اقسم أنها مؤامرة كونية عليك حمزة

## يامن حسن

بلد مصاب بالسكري من حلاوة أبنائه.. بلد تتوقف أعضائه الرئيسية عن العمل بسبب حلاوة أبنائه هل ينبغي بتر القدم للحفاظ على حياته؟ طوبى للثائرين السائرين نحو سوريتهم

## نصوح طيارة

مع كل قذيفة صاروخية تسقط في بابا عمرو يهتز زجاج النوافذ في بيتنا الواقع على بعد 2 كيلومتر (كخط نظر)، وأحيانا أتلمس النافذة بانتظار الهزة، هكذا يتسلل تواترها تدريجيا في أنحاء جسدي ابتداءً بأطراف أصابع اليدين حتى أعلى الرأس و أصابع القدمين بالترتيب، تتضخم الهزة و تتحول في بعض الأوقات لمخيفة تبعاً لنوع القذيفة المضروبة على الحي هناك، و أشعر أنها ستسقطني أرضاً.. هذا حال بابا عمرو منذ عشرين يوما و بشكل شبه مستمر، ليس ساعيًا و إنما بالدقيقة، هذا حال بابا عمرو من على بُعد 2 كيلومتر.

## حسام القطلبي

أكثر ما كان يثير غثياني شخصياً في الخطاب الرسمي لنظام الأسد وفي أدبيات وسائل إعلامه هي عبارات تأتي دائما لقطع الطريق على أي مطلب حق، من مثل:

- في هذه اللحظة الحرجة و الحساسة من تاريخ أمتنا....
- في هذا المنعطف التاريخي من مسيرة الأمة...
- في وقت تخوض فيه الأمة معركتها المصيرية مع الامبريالية و الصهيونية و... إلخ

شي من هالقبيل يعني..

تعالوا نخلي هاي العبارات للنظام المقرف بس.. بلا ما نسحب هيك سيوف على بعض عند كل نقد.. بليز يا حبايبن.

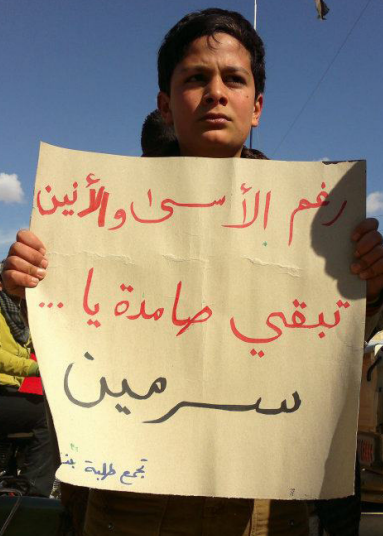


**بيان شخصي قابل للنقد:**

**قد كنت من الداعمين لجميع التحركات المؤيدة لثورتنا اليتيمة ابتداء من كلمة حرية على الفيسبوك و انتهاء ب سلاح فردي أمام دبابات هذا العدو، و لكل أسبابة، و لكل مبرراته..**

**و أوجه الآن حديثي إلى جميع الثائرين و الممتعضين على موقع التواصل الاجتماعي: لا يجب أن تشعروا بالحزن حين تجدون الشارع قد ابتعد عن تحقيق مطالبكم التي «بنظركم» هي محقة.. ف أنتم قد فرزتم أنفسكم بعيداً عنه و خلقتم لأنفسكم ثورة بديلة، و أخصص بهذا الكلام أصدقائي اللذين يمتعضون من بعض تصرفات الشارع مثل: مسميات الجمع، أسماء الكتائب في الجيش الحرّ، ثائرات لا حرائر، تاريخ بداية الثورة... و تطول القائمة**

**و لكن صدقا ما يعانيه الشارع من أزمة تتجاوز هذه التفاصيل، اليوم كانت الخالدية تقصف بالصواريخ من العيار الثقيل.. و تطول قائمة الألم أيضا..**

**أنتم من ابتعدتم عن ثورتنا.. الثورة طورت نفسها تلقائيا، و أنتم لا تواكبونها..**

**و كرأي شخصي: 1. صفحة الثورة السورية مستبدة و لكن أسماء الجمع التي تخرج للعالم في النهاية هي الأقرب لي. 2. من يريد أن يرى كتيبة مدنية لا ترتبط بأي تفاصيل دينية ف ليعن عنها بنفسه فالشارع للجميع و كفانا ادعاء فالكتائب تخرج من المناطق المنكوبة و التي هي بالأساس مناطق لها مرجعيات دينية. 3. لا يوجد إهانة بكلمة حرائر فهي جمع لكلمة حرّة و اللقبان يعبران عن الأنثى التي أحب. 4. الثورة قد بدأت، لا تدعوها تنتهي.**

عمر كوكش

---

السؤال والجواب: من حوار مطول حول الشأن السوري مع ياسين الحاج صالح | أسئلة: أسئلة لولوة الرشيد ومحمد علي الأتاسي

| هل هناك عوارض تعب على النظام؟ ما هو تقديرك لدرجة تماسك النخبة الحاكمة (الأسرة الأسدية، الجيش، رجال الأعمال، إلخ)؟

| | النظام» السوري هو الرئيس وأسرته، زائد الأجهزة الأمنية الإرهابية التي هي جيش النظام الضارب، زائد طبقة الإقطاعيين الجدد الذين يدينون بثرواتهم إلى احتلالهم للسلطة العمومية + رؤساء الأجهزة الإعلامية والبعثات الدبلوماسية وبعض الوزراء الأساسيين. وهذا التكوين متماسك لأسباب ثلاثة. أولهما أن النظام يقتل من ينشق عنه أو يتآمر ضده من أركانه على نحو ما جرى لغازي كنعان في خريف 2005 (قتل أخوه بصورة غامضة بعد أسابيع من مقتله)، وعلى نحو ما جرى لعشرات وربما مئات الضباط والجنود الذين رفضوا المشاركة في قمع الثورة. ولم يتجاسر عبد الحليم خدام على إعلان «انشقاقه» عن النظام إلا بعد أن استكمل تسفير جميع أفراد عائلته خارج البلد، لأن النظام يأخذ البناء بجريرة الآباء وبالعكس. والسبب الثاني هو التكوين المحاسيبي والطغموي لنخبة النظام العليا، الرئيس والأسرة والمخابرات... هؤلاء يشكلون شبكة من تبادل المنافع والامتيازات، وبالتالي المسؤوليات، ما يعني ترابط مصيرهم. والثالث هو أنه ليس هناك أية مؤسسات سياسية أو عسكرية أو اجتماعية مستقلة في سورية. لا الجيش جيش محترف مستقل عن النظام ومخابراته، ولا النقابات حائزة على أدنى حد من الاستقلالية، ولا هناك برجوازية متماسكة ذاتية مستقلة في مصادر إثرائها عن النظام، ولا هناك مراكز قوة مستقلة نسبيا ضمن النظام. وفي المحصلة، فإن النظام السوري «شقفة واحدة»، صلبة ومتماسكة، لا تنقسم من مركزها، لكنها ربما تتفتت من محيطها، أو تنهار انهيارا كاملا مفاجئا. التفتت نراه في الجيش و«انشقاقاته» الطرفية المتكررة. أما الانهيار الكلي فأقدر أن نراه في وقت غير بعيد، بخاصة إذا جرى بصورة ما تقييد قدرة النظام على الحرب ضد الثورة.

| كيف تقيم وضع المعارضة في الخارج؟ وهل تعتبر أن المجلس الوطني برئاسة برهان غليون هيكلا تمثيليا؟ هل هناك هياكل أو أطر تنسيق عاملة في السر في سورية؟

| | معارضة المنفي متنوعة، لكنها اليوم كتلة كبيرة من المعارضة السورية. هذا لأن الثورة في الداخل نشطت كثيرين يعيشون خارج البلد، كانوا مبعثرين أو خاملين، وكذلك لأن معارضين من الداخل خرجوا من سورية في الشهور الأخير لأسباب أمنية. وقد تكون الكتلة المنظمة الأكبر بين معارضي المنفى هي الإخوان المسلمون، المضطرون منذ أكثر من ثلاثة عقود للعيش في المنفى، لكن وزن علمانيين متنوعين كبير، وحاسم. ومن أبرز هؤلاء برهان غليون الذي يحظى باحترام كبير كمثقف، واليوم كسياسي. إذا تكلمنا على التمثيل بمعنى تأسيسي وديناميكي فلا ريب أن المجلس الوطني ذو صفة تمثيلية أكيدة. وهو الجسم السياسي الأوثق ارتباطا بالثورة والأكثر تطابقا مع توجهها الجذري المتطلع إلى إسقاط النظام. لكن الأمور سائلة في سورية اليوم، وما يكسبه طرف سياسي خلال وقت قصير قد يخسره بسرعة أيضا. العبرة في حسن السياسة وفي القدرة على وضع مبادرات سياسية فعالة. هناك تكوينات متنوعة حديثة التشكل تعمل في نطاق الثورة، وبعضها ممثل في المجلس الوطني. وأظن أن الحياة السياسية السورية في الزمن ما بعد الأسدي ستتكون من مجموعات وتيارات تتكون الآن، وتشكل الثورة تجربتها المؤسسة.

| هل تخشى تكسر البلد على غرار النموذج العراقي بعد تغير النظام هناك عام 2003؟

| | من حيث المبدأ نعم. سورية مصنوعة من الطين المشرقي نفسه. لكن لا تزال هناك فرصة لتجنب هذا المآل إذا قبل النظام بأنه لا يمكن أن يربح هذه المواجهة، وارتضى ألا يتسبب بالخراب العام. لكن لا يبدو أنه على استعداد للتعلم من أية سوابق تاريخية. ومما ألاحظه بالمعاينة الشخصية يبدو لي أن سوريين كثيرين واثقون أن بلدهم لن يشهد حربا أهلية واسعة النطاق مهما فعل النظام. وقبل حين علمت من بعض أقربائي العلويين أنه بعد كل ما فعله النظام بحمص خلال ثمانية شهور، كان الناس «نتفوا بعضهم»، لولا أنهم يعرفون جيدا أن حمص لهم وأنهم لبعضهم، وأن النظام زائل. وهم يشيرون إلى أن الجو الأهلي «كويس» رغم كل شيء، وأن ما وقع من احتكاكات طائفية وقع بعلم النظام وبرعايته. وأن هناك مقاومات للتطييف يساهم فيها بنشاط علويون، وبعضهم اعتقلوا بسبب ذلك مثل الطبيب الشاب علي ملحم.

# برهان غليون: في النخبة والشعب

■ ياسر مرزوق

الدكتور"برهان غليون" أستاذ ومدير مركز دراسات الشرق المعاصر في جامعة السوربون في باريس، قد نختلف أو نتفق مع الدكتور غليون سياسياً إلا أننا متفقون على كونه قامة أكاديمية وفكرية تقف في طليعة النخب لفكرية في سوريا "النخبة والشعب" كتاب في شكل حوار أجراه الأستاذ لؤي حسين مع البروفسور برهان غليون ويأتي كتابنا اليوم استكمالاً لسلسلة من الحوارات التي أصدرها الباحث لؤي حسين، ابتداءً من "حوارات في الوطنية السورية" و"الإختيار الديمقراطي في سوريا" وصولاً إلى كتابنا اليوم.

## نشوء النخب

يبدأ غليون في شرح مفهومه لنشوء النخب معتبراً أنه "لا يمكن لنخبة أن تنشأ وتكون فاعلة وقادرة على إنشاء جماعة سياسية من دون تحقيق شرطين: الاستقلال عن أصحاب المشاريع والأعمال والمال من جهة – في إشارة إلى الحالة الأمريكية –، وتكوين وعي واضح بالمسؤولية تجاه المجتمع والرأي العام من جهة ثانية. وعلى درجة هذا الاستقلال والشعور بالمسؤولية لدى النخب تتوقف مقدرتها على تأسيس جماعة سياسية مستقرة وفاعلة "وهنا يسن الدكتور غليون تشريعاً أو قانوناً محدداً لنشوء النخب متجاهلاً وإن عن قصد للفروق الجوهرية بين المجتمعات.

أمّا ما يجب أن تكون عليه النخب العربية، فإنه يقول "نخب مقطوعة نسبيًا عن الثقافة الاجتماعية التقليدية، وهذا أهم عنصر قوّة فيها ومبرِّر وجودها. فمن دون هذه القطيعة الفكرية والنفسية والسياسية لا يمكن للنخبة أن تخرج من إطار التقاليد السائدة ولا أن تجسّد أيّ إضافة أو معرفة استثنائية. وهي كذلك بالتعريف نخبة تغييرية، فالهدف من إنشائها أو نشوئها هو الخروج من الجمود ومسايرة التبدلات والتحولات العالمية".

لا يكتفي كاتبنا هنا بضرورة القطيعة بين النخب والشعب كخطوة أولى لتظهر نخبة بعيدة عن التقاليد والأطر الموروثة بل يؤكد على إلغاء هذه القطيعة حين تصل النخب للتغيير المطلوب "المطلوب إعادة بناء العلاقة الجدلية والتواصلية بين الشعب والنخب، أي نقد الثقافة التي تعيد إنتاج القطيعة، مهما كانت مصادرها ".

وفي مكان آخر يضيف "القطيعة النسبية للثقافة التقليدية، ربما تكون مدخلاً للتغيير لا يختلف عليه عاقلان، لكن ما تجدر الإشارة إليه هو قطيعة تستوجب إعادة النظر في التراث من كافة جوانبه، لا أن نكتفي بالقول بأنها "أصبحت وراءنا"، معقبًا: "إن استبداد الماضي لا يفسر استبداد العصر الحديث".

لم يأت استبداد العصر الحديث من فراغ، فالقطيعة الكلية والنهائية لم تنجز، وإن حدثت على مستوى الأنا "القانونية والوطنية" فقد ظلت ملتبسة حول نظرتها إلى الآخر، كونها استدعت حضور خيال جمعي، أعاد تشكيل هويات نكوصية غير مؤنسنة على المستوى العالمي، الأمر الذي أبقى العصبية التاريخية حاضرة في كل صدام.

حول العلمانية والاستبداد:

يتساءل غليون عن مدى امكانية اعتبار الأنظمة الشمولية أو اللادينية علمانية. فالعلمانية قامت على فكرة الإيمان بالتعددية ونسبية الحقيقة، واستمرارها مرهون ببقاء هذه التعددية. لذلك، فإنّ افتراض أن كل من يرفع شعار العلمانية هو بالضرورة علماني، رأي يجافي الصواب، وما ينطبق على العلمانية يمكن أن يقال عن أي فكر آخر كالاشتراكي والديمقراطي. إن كثيرًا من الأنظمة المستبدة تقدم نفسها على أنها اشتراكية أو ديمقراطية.

إن النظرة النقدية التي يسوقها غليون عن العلمانيين العرب، والسوريين بشكل أخص – وإن من باب الحرص على العلمانية كما يفترض – لا يعفيه من مهمة تفكيك الرأسمال الرمزي الإسلامي كونه يشكل مرجعية متعالية على الواقع، بما هو نسبي ومتغير. فالأصولية الإسلامية عبر التاريخ وحتى الآن تنشط وتضعف نتيجة لمتغيرات السياسة السلطوية، لكنها تبقى حاضرة وبقوة في المجال الثقافي والسيسيوسياسي وهو ما يجعلها عامل كبح ونكوص عند كل منعطف تمر به هذه المجتمعات.

يبدو أننا بحاجة إلى مجهود كبير، لإعادة فهم التراث الإسلامي من منظور نقدي "معقول" تشارك فيه كافة النخب الفكرية ومن بينها الإسلامية. كما فعل الغرب عند ولوج حداثته. أما إطلاق النار على الأنظمة ووضع العلمانيين في نفس الخانة، أمر ينطوي على خلط كبير يصب في نفس السياق والتوجه الإسلامي الذي لا يخدم سوى أنظمة الأمر الواقع، ومن خلفها التنظيمات الإسلامية، متجاهلاً الوضع الدقيق الذي يتحرك فيه العلمانيون العرب، فلا يرى أنهم بين مطرقة الأنظمة سندان لأصوليات الدينية. أما اعتبار ظهور الحركات الإسلامية نتيجة لممارسات الأنظمة الاستبدادية، فهو جزء من معادلة منقوصة تنطوي على تبسيط يخدم حتمية الاستنتاجات التي سيقت.

" لا يمكن خلخلة هياكل هذه الأنظمة إلا بانفتاح الإسلاميين على تاريخهم ومجتمعاتهم، بعيدًا عن التقديس، وأن يقابلوا الاستبداد بمنطق الحرية والتحرر المسؤول. البعيد عن الشعارات الدوغمائية مثل "الإسلام هو الحل" حين تنتقد الأحزاب الإسلامية في العالم العربي ممارسات الأنظمة القمعية، وهي محقة في نقدها، فذلك لا يجعل منها حامية الحرية و الديمقراطية، فهي مطالبة وقبل أي شيء آخر أن تقوم بنقد موروثها ومسارها، كي تكون لها مصداقية فيما تدّعي ".

## بين الديمقراطية والعلمانية

يرى غليون أنَّ النخب العلمانية: "لا ترى في الأكثرية الاجتماعية إلا عامة من الناس، لا شخصية لها ولا قوام، ولا وعيًا بالحرية ولا مطالب أخلاقية ممكنة أو كامنة، الخوف من تبني خيار الديمقراطية الحديث، لما يمكن أن يتضمنه الاعتراف بحقوق الناس المتساوية وحرياتهم، من مخاطر على المدنية نفسها. فلا يقبل العلمانيون أو من يسمون أنفسهم كذلك مثل هذا الاعتراف إلا إذا كان جزءًا من سلة واحدة. أما الإسلاميون فالديمقراطية لا تعني في نظرهم التنازل عن حق العلماء والفقهاء في الوصاية على الإيمان وحقوق الدين وإنما أكثر من ذلك تقديم حقوق الإنسان على حقوق الله .

كما يعتبر أن: "الديمقراطية ليست إجراءً شكليًا يتحقق مع فرز حكم الأغلبية، أي أغلبية عددية. إنها عملية تاريخية طويلة يتم من خلالها تحويل الجماعة إلى شعب [... ] الشعوب تتعلم بالتجربة وعبر التاريخ وتتحول، ولا تولد حديثة مرة واحدة، ولذلك أيضًا لا يمكن للحداثة أن تكون سلة واحدة ".

من هنا يمكن لنا فهم طبيعة الأنظمة والأحزاب الشمولية في إنتاجها لاستبداد يوائم بنيتها السوسيوثقافية، لتبقى الرعية منتجًا للاستبداد ومحفزًا له من خلال تماهيها مع دور الضحية، وستبقى الحال على ما هي عليه إلى حين تبلور برجوازية وطنية، تكون قادرة على كسر الانقسامات العمودية المغذية للسلطة في مجتمعاتنا وتحويلها إلى انقسامات أفقية، تؤسس لنمو بيئات وتجمعات مجتمعية خارج جغرافية القبائل والطوائف المنغلقة، ليسهل فتح الطريق أمام ظهور وتشكل الشعب.

لا بد من الإشارة هنا إلى أن محاولة غليون تحميل العلمانيين سبب القطيعة والنظرة المتخلفة إلى الشعب، تنطوي على تحامل كبير لا يمكن تبريره، ومن ثم زجهم في خانة الأنظمة، وكأنهم شريحة غير واعية وغير مدركة للعمل الثقافي والسياسي، لغة تعكس الطبيعة الوصائية والتعليمية في خطابه الموجه إلى النخبة، جاعلاً من خطابه مرجعية متعالية على الجميع.

## بين الطائفية والعصبية القبلية

في معرض سجاله، يسأل الأستاذ لؤي حسين محاوره الأستاذ غليون:

هل ترى أن (الطائفية لا تنطبق على استخدام الدين، بل على استخدام كل أشكال التضامنات الخاصة ما قبل السياسية الناجمة عن تعبئة العصبيات القائمة على القرابة المادية، كالعشيرة والعائلة والإثنية أو المذهب) لكن ألا تفترق الرابطة الطائفية-الدينية عن الرابطة القبلية والعشائرية من ناحية الانفراط والزوال. فروابط الدم تبقى أسهل في التفكك من الرابطة الطائفية التي تعتمد الذاكرة الدينية والنص الديني الذي يبشر أفرادها بحظوتهم في الآخرة. وهو ما يجعل منها راسخة عنيدة على التفكيك.

يجيب غليون: "أكبر دليل على تفوق العصبية القبلية والعشائرية على مشاعر الولاء للجماعة الدينية. فلم يمنع الحماس الديني في عهد الدعوة نفسها من بروز القبلية وتقدمها على الرابطة الدينية. وقد فسر العديد من الباحثين والمؤرخين، في مقدمتهم ابن خلدون، نجاح الأمويين على الهاشميين بقوة العصبية الأموية على العصبية الهاشمية. وكان خالد ابن الوليد يوزع قواته في معارك الفتح الإسلامي حسب انتماءاتهم القبلية". ويضيف "الولاء للجماعة الدينية"، "الحماس الديني"، هو

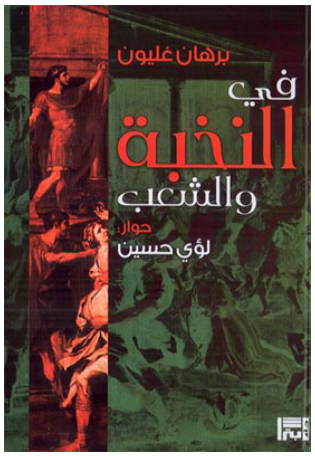


قبل أي شيء لا يعتبرها عصبية، ولا يحب أن يراها كذلك، لكن ممكن للعصبية العائلية بين الأمويين والهاشميين أن تصبح قبلية عنده. علمًا أن معظم القبائل انقسمت على ذاتها، وهو ما يؤكد حضور عصبية دينية جديدة دون أن تلغي العصبية القديمة ".

ثم لماذا الإصرار على الفكرة بالمطلق حول أن القبلية أقوى من الطائفية والاستدلال بذلك من التاريخ والواقع الراهن، ولو أخذنا ذات المنحى لأكدنا عدم دقة الاستنتاج وهو ما يحيلنا إلى إبقاء الاحتمالين، فالكثير من البنى الاجتماعية في عالمنا العربي، المتموضعة في المدن، تفككت روابطها القبلية وحلت مكانها الطائفة، وهذه صيرورة المجتمعات. ولو نظرنا إلى جارنا الأوروبي لأدركنا زوال القبائل أمام المذاهب الدينية، وهذه الأخيرة ليست معطى نهائيًا ولكنها طبيعة الأشياء في تحولها اللامتناهي.

في مداخلته الأخيرة يتحدث الأستاذ لؤي:

حاولت قدر استطاعتي التقاطع معك على نقاط نتفق عليها في الموقف من الاستبداد لكن تراءى لي أنك تشترط عدم المساس بالموضوع الديني، وكأنه أصبح خلفنا مع بقايا عصر الأنوار.

يجيب غليون: "أنتم العلمانيين لسان حالكم يقول: إمّا أن تكون علمانيًا على الطريقة التي أنظر إليها [... ] أو أنك بالضرورة ديني أو إسلامي يتخفى وراء علمانية شكلية ولفظية. وأكاد أشعر أنك تضعني تمامًا في هذه الدائرة ".

في بداية عرضي لكتابنا اليوم عقدت اتفاقاً جبرياً مع القارئ على اعتبار الدكتور غليون قامة فكرية وثقافية، وليس لأحدٍ نكران ذلك إلا أن رده الأخير محاسباً على النوايا وبشكل انتفت معه مساحة قبول الآخر يدعونا إلى القول بأن هذه الطريقة في الحوار لا تليق بحجم مفكر كبرهان غليون، فالديمقراطية في أصلها حالة فكرية إن لم نؤمن بها ونتبناها ضمنياً لن يكون لنا الوصول إليها سياسياً.

الكتاب: برهان غليون: في النخبة والشعب
حوار: لؤي حسين
دار بترا للنشر والتوزيع، ط1، 2010.

# عام

■ عباس بيضون

عام وانتفاضة السوريين لم تهدأ، إنها حرب بينهم وبين النظام. كل يوم يمر هو أيضا انتفاضة. آلاف في كل يوم تنزل في كل مكان لتهتف بسقوط النظام. في كل يوم ويوما بعد يوم يكبر جبل القتلى ويقدم عشرات، هنا أو هناك. أنفسهم قرابين جديدة. لم يكسروا فقط حاجز الخوف، بل طردوا الخوف، وبعد عام نكاد لا نصدق أنهم ما زالوا في الشارع، بعد عام لا نكاد نصدق أنهم مازالوا يشرعون صدورهم للرصاص. بعد عام لا يزال النظام يقتل بلا جدوى، لا يزال يقتل ولا تزال دباباته وصواريخه تقصف لكنه هو الذي يخرج من الأحياء، هو الذي يغادر حيا بعد حي، هو الذي يخاف. بعد عام الشارع يصنع البطولة اليومية، الشارع هو الطاقة التي لا تنفذ، هو القوة التي تتجدد، هو الفينيق الذي ينبعث كل يوم من الرماد. بعد عام نعرف انه مهما اشتد العسف. مهما اتسعت حقول القتل، مهما زادت الخرائب ومهما تهدم وتدمر، عنف النظام الذي لا يحسم. سيتحول شيئاً فشيئاً إلى تراجع. ستكون المعادلة معكوسة هذه المرة. كل قوة للنظام ترتد عليه، كل عنف ينقلب على صاحبه، كل عسف يتحول إلى قوة للخصم، كل استبداد ينقلب إلى ضعف، كل مجزرة تقع تفت في عضد النظام، كل تدمير يدور عليه. ما دام استفرغ عنفه، ما دام عسفه بلغ الأوج. ما دامت شراسته لم تجد. ما دام كل هذا لم يفعل شيئاً في حركة الشارع. ما دام لم يؤثر في يوميات النضال وفي زخمه وفي مداه. فإن عنف النظام سيغدو ميتاً. قوة النظام ستغدو صفراً، ضغطه سيرتخي من حاله. هنا سيفقد أسلحته. هنا ستغدو جبال القتلى بلا أثر. هنا سيفقد الرصاص والصواريخ والقذائف فاعليتها، ستغدو جميعها هراء. ستغدو أي شيء إلا أن تخيف، أي شيء إلا أن تفعل. ستكون جدواها أقل من الهتاف، ستغدو قدرتها أقل من الصدور العزلاء. لقد أحبطوا أسلحته، لقد أحالوها هواء، لقد جعلوا الموت نفسه بلا قوة، لقد أحالوه إلى صفر. النار، الحرائق، الدمار، الجوع، كلها لا تخيف. أنهم يلتهمون النار ويلتهمون الدمار والرصاص. هنا يبدو الشارع مارداً. هنا يبدو جباراً وعملاقاً. هنا يظهر كل يوم جبروته وقوته. لقد تعطل كل سلاح في وجهه ويوما بعد يوم سيصمد، يوماً بعد يوم سيقف مارداً. يوما بعد يوم سيخاف النظام من نفسه، سيخاف من سلاحه. يوما بعد يوم سيتحرك الشارع من الخرائب ومن الحرائق ومن الدمار. سيتقدم كل يوم وفي النهاية سيترك الآخرون أسلحتهم ويتراجعون عنها.

إنها معركة إرادات، النظام لن يكون الإرادة الوحيدة، ثمة إرادة في وجهه، إرادة تكبر كل يوم وعناد مضاد. معركة إرادات والإرادة الأقوى ستلوي الإرادة الأخرى. مهما يكن فإن النظام الذي عمر أربعين عاماً وأكثر لن يكون ارشق ولا أقوى إرادة. هناك لائحة من الإدانات في عنقه، هناك عمر من الأخطاء: الفساد والتسلط والانتهاك، عمر من الأخطاء يثقل عليه ولا يستطيع معه أن يكون سريع الحركة، عمر يثقله بعدد سنينه وعدد آفاته، عمر ينخر إرادته ويهدها. الشارع بعد أن تجاوز الخطوة الأولى، بعد أن قفز فوق الرصاص وفوق الحرائق وفوق الدمار، العنف والقتل صارا وراءه. انه الآن يصنع إرادته، يجبلها ويصنعها من آلام كل يوم ومن عناد كل يوم ومن تضحيات كل يوم. انه دين هائل يحمله في عنقه. إنها إرادة لن تكسر ما دام ثمنها كل هذا الدم وكل هذه الخسائر. إنها حرب إرادات، ما دام السلاح لم يعد العمدة، ما دام القتل لم يعد الرهان. الإرادة الأفتى، الإرادة الأجد، الإرادة الأكثر عناداً، الإرادة التي تصقلها الخسائر وتشحنها الآلام وتقويها العذابات، هذه الإرادة ستنتصر.

من اليوم الأول ربحت الانتفاضة التحدي. لقد زلزلت الأرض تحت النظام. ليس مهما العدد، ليست مهمة النسبة. من اليوم الأول، وبالهتاف وحده، بالحشد في الشارع، وبالمصابرة على القتل وعلى الجراح وعلى الحرائق وعلى الدمار، بالمصابرة على السجون وعلى التعذيب حتى الموت وعلى الانتهاكات الفظيعة، بذلك كله سقطت هيمنة النظام، ظهرت برانيته، صارت شرعيته على الأرض. من الأيام الأولى للانتفاضات، لم تعد الأرياف في السلطة، لم تعد المدن في السلطة. صار النظام هو الدبابات التي تقصف والأسلحة والشبيحة. الشبيحة نعم، فرق الموت والإعدام على طريقة النظام السوري. من الأيام الأولى صارت الأحياء خارج السلطة، وخرجت السلطة من كل مكان. ماذا تجدي إذا المعركة، كيف تقدر السلطة على ربح معركة خسرتها مسبقاً. كيف يمكن لنظام أن يستعيد شرعية قامر هو نفسه بها. كيف يمكنه أن يسترد هيمنة انتهكها هو وتخلى عنها. من الأيام الأولى. صارت السلطة في خندق والشارع في خندق. إن تكن حرب حركة أو حرب مواقع وهي الاثنان معاً. إن يكن قسم من الشعب ما زال صامتا، مهما تكن نسبة هذا القسم فإن اعتراض الباقين ليس استفتاء. اعتراض الباقين لا يقدر بنسبة أو عدد. اعتراض الباقين حرب على النظام. النظام نفسه هو الذي حولها حرباً. كان يمكن لولا عسفه أن تبقى استفتاء. النظام هو الذي حولها إلى انتفاضة أو ثورة. النظام هو الذي وضع الجميع أمام خيار أوحد إما الطاعة وإما الخروج، إما الطاعة وإما نزع الشرعية. النظام هو الذي دفع ومن الأيام الأولى، الأمور إلى هذا الحيز. نزع الهيمنة وعدم الاعتراف ليس الاستفتاء ومضحك أن يلجأ النظام بعد أن فعل ما فعل إلى الاستفتاء. مضحك وأجوف جمع الاستفتاء مع القتل والعنف. حين تنزع نسبة من الشعب الشرعية أو الهيمنة فإن النظام يغدو بدونهما، الاستفتاء أسلوب ديمقراطي وفي الديمقراطية لا تقتل المتظاهرين. في الديمقراطية لا يستمر حاكم إذا نزع قسم كبير من الشعب الشرعية عنه، لقد سقط النظام سياسياً. سقط إلى لا عودة. شجاعة وصمود الشارع جعلاه بلا أي مبرر. شجاعة وصمود الشارع أسقطاه من الأساس. ما يحدث من ذلك الحين اختبار هذا السقوط. ما يحدث هو التأكيد اليومي المتكرر عليه.

في بلد ديمقراطي يخير الشعب بين أمرين، لكن الخيار والرصاص والقذائف في الميدان ليس سوى خيار وحيد: العسف أولاً وثانياً، الاستبداد أولاً وثانياً وثالثاً وإلى الأخير. لا خيار مع الرصاص، مع ذلك حين يخير النظام العالم بين الاستبداد والإرهاب الأصولي فإن كل شيء بما في ذلك الإرهاب الأصولي يقع على عاتق النظام الذي لعب كل الألعاب الخطرة التي ترتد في النهاية عليه. الاستبداد يخلق كل شيء بما في ذلك الإرهاب الأصولي، فهذا أمر لا يقع على عاتق الشعب، والخيار الأوحد يبقى على الدوام: الاستبداد أو الحرية، الاستبداد أو الديمقراطية.

أيها الشعب السوري. لقد أعدت لنا اعتبارنا، أن شجاعتك مفخرتنا وعام من انتفاضتك هو أيضاً عام من كرامتنا وحريتنا، شكراً لك. سيكون المستقبل بعلو آلامنا وجبل شهدائنا.

ملحق السفير الثقافي 24 / 3 / 2012

## شهداء سورية

**مجموع الشهداء (11678)**

دمشق: 220
ريف دمشق: 1041
حمص: 4825
حلب: 224
حماه: 1234
اللاذقية: 242
طرطوس: 56
درعا: 1257
دير الزور: 418
الحسكة: 43
القنيطرة: 13
الرقة: 55
ادلب: 2078
السويداء: 5

1056 عدد العسكريين
10622 عدد المدنيين
709 عدد الإناث
184 عدد الأطفال الإناث
649 عدد الأطفال الذكور

المصدر: إحصائية قاعدة بيانات شهداء الثورة السورية 23 / 3 / 2012
http://syrianshuhada.com